بسم الله الرحمن الرحيم

التفسير الصحيح لآيات خلق السماوات والأرض

كتب محمد الأنور (محمد أنور) :

مقدمة

لقد أخطأ السلف والخلف ـ غفر اللّٰهُمَّ لهم ـ في فهم وتفسير آيات خلق السماوات والأرض ؛ فأوجدوا بأنفسهم تعارضاً بين الآيات في زمن الخلق وفي ترتيب الأحداث ، وصنعوا بأيديهم شبهة ضد الإسلام ، وصدوا الكثير عن سبيل الله .

وإن المذهب الصحيح يجب أن يكون موافقاً للقرآن الكريم ، واللسان العربي ـ الذي نزل به القرآن ـ ، والعلوم المنضبطة الصحيحة كعلم الحساب .

أما إذا عارض المذهبُ آيةً ، أو خرج عن اللسان العربي ، أو العلم الصحيح المنضبط فهو مذهب باطل ، ولا يجوز اتباعه .

وإن المتدبر لكتاب الله يجد أن الله تعالى يرد على أهل الشبهات بنفسه في القرآن ، ولكنه لم يرد على شبهة زمن خلق السماوات والأرض ، أو ترتيب الأحداث ، لماذا ؟

لأن العرب قديماً سواء كانوا مؤمنين أو كافرين كانوا علماء باللسان العربي بالسليقة ، ولم يفهموا الفهم الباطل الذي قاله المفسرون قديماً وحديثاً .

ولقد نشأ هذا الفهم الباطل بعد الركون إلى آراء الزجاج والأخفش

وابن الأنباري وعبد الله بن سلام وغيرهم ، وكأنها وحي !

ولقد قيلت لي شبهة خلق السماوات والأرض في ستة أيام أم في ثمانية أيام منذ سنوات ، ولأني كنت متبعاً لإمامنا الشعراوي ـ رحمه الله ـ : فقلت للسائل لقد رد الشعراوي على هذا الأمر.

ولما منَّ الله تعالى عليَ وبحثت في هذا الأمر تبين لي خطأ السلف والخلف في تفسير الآيات .

محمد الأنور

الفصل الأول : آيات خلق السماوات والأرض

أولاً : خلق الله تعالى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ :

قال تعالى : " وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ " (هود : ٧) .

ثانياً : خلق الله تعالى السماوات والأرض في ستة أيام ، ثم استوى على العرش :

١ ـ قال تعالى : " وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ " (ق : ٣٨) .

٢ ـ قال تعالى : " إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ

أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ " (الأعراف : ٥٤) .

٣ ـ قال تعالى : " إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ " (يونس : ٣) .

٤ ـ قال تعالى : " الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا " (الفرقان : ٥٩) .

٥ ـ قال تعالى : " اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ " (السجدة : ٤) .

٦ ـ قال تعالى : " هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ " (الحديد : ٤) .

يؤخذ من الآيات السابقة الترتيب التالي :

١ ـ الله تعالى خلق السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ .

٢ ـ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ .

ثالثاً : الفتق والرتق وخلق النبات والحيوان :

قال تعالى : " أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ " (الأنبياء : ٣٠) .

يؤخذ من الآية السابقة الترتيب التالي :

١ ـ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا .

٢ ـ فتقهما الله تعالى .

٣ ـ جعل من الماء كل شيء حي .

قطعاً هي مرحلة بعد الخلق والرتق والفتق ؛ لأنها مرحلة خلق النبات والحيوان .

هذا إذا كان المعنى أن السماوات والأرض كانتا ملتصقتين .

رابعاً : الله تعالى خلق لنا ما في الأرض جميعاً ، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات :

قال تعالى : " هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " (البقرة : ٢٩) .

يؤخذ من الآية السابقة الترتيب السابق :

١ ـ أن الله تعالى خلق لنا ما في الأرض جميعاً .

٢ ـ ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات .

قال الواحدي : ((والآية لا تدل على أنه خلق السماء بعد الأرض ، إنما تدل على أنه جعلها سبعًا بعد ما خلق الأرض، وقد كانت السماء قبل

ذلك مخلوقة ، كما قال أهل التفسير : إنها كانت قبل دخانًا)) . (البسيط للواحدي) .

التعقيب :

الحق أن السماوت والأرض كانتا مخلوقتين قبل جعل رواسي من فوق الأرض ، والمباركة فيها ، وتقدير أقواتها ، وتسوية السماء سبع سماوات .

خامساً : رَفَعَ اللَّه تعالى السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ نراها ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ :

قال تعالى : " اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ " (الرعد : ٢) .

يؤخذ من الآية السابقة الترتيب السابق :

١ ـ أن اللَّه تعالى رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ نراها .

٢ ـ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ .

سادساً : زمن خلق الأرض ، وجعل الراوسي من فوقها والمباركة فيها وتقدير أقواتها :

قال تعالى : " قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا

وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) " (فصلت) .

يؤخذ من الآيات السابقة الترتيب التالي :

١ ـ إن الله تعالى خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ .

٢ ـ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ .

٣ ـ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ .

والسؤال : إن التفصيل جاء في سورة فصلت ، فكيف نفسر القرآن خطأ أو نفهم آيات سورة فصلت خطأ ؟!

بالرغم أن الله تعالى لم يقل كلمة "خلق" في قوله تعالى : " وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا" ، إلا أن السلف والخلف فسروا الآية بالخلق وأدخلوا أحداثها في زمن الخلق !

وتفسيرهم هذا أوجد عندهم تعارضاً في زمن الخلق ، وفي ترتيب الأحداث ؛ لأن ظاهر الآيات حسب فهمهم سيجعل عدد أيام الخلق ثمانية أيام ، وليس ستة ، كما أنه سيجعل دحو الأرض من الخلق ، وهذا سيظهر تعارضاً في الترتيب .

وكما قيل : (مَا اسْتَدَلّ مُبْطِلٌ بِدَلِيلٍ شَرْعِيّ وَلا عَقْلِيّ إِلا كَانَ دَلِيلُهُ حُجّةً عَلَيْهِ لا لَهُ) .

والسؤال لكل عاقل متدبر :

هل استوى الله تعالى إلى السماء قبل أن يخلقها ؟!

هل خاطب الله تعالى السماء والأرض قبل أن يخلقهما ؟! أو هل خاطب الله تعالى السماء والأرض بعد أن خلق الأرض وقبل أن يخلق السماء ؟!

هل ردا عليه قبل أن يخلقهما ؟! أو هل ردا عليه بعد أن خلق الأرض وقبل أن يخلق السماء ؟!

هل أتيا طائعين قبل أن يخلقهما ؟! أو هل أتيا طائعين بعد أن خلق الأرض وقبل أن يخلق السماء ؟!

هل استوى الله تعالى إلى عدم ؟!

هل خاطب الله تعالى عدمين ؟! أو هل خاطب الله تعالى مخلوقاً وعدماً ؟

هل رد عليه العدمان ؟! أو هل رد عليه المخلوق والعدم ؟!

هل أتيا طائعين وهما عدمان ؟! أو هل أتيا طائعين وأحدهما مخلوق والثاني عدم ؟!

هذا فهم بعيد عن الحق .

إنَّ أمْر الله تعالى للسماوت والأرض بأن يأتيا كان أمر تكليف لهما بعدما خلقهما الله تعالى .

تفسير ابن عثيمين : (((قَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا)، هذا الأمر هل هو أمر

تكوين أو هو أمر تكليف؟ *طلبة: الأول * .الشيخ: إن قلنا: إنه تكليف لم يكن هناك فرق بين أن يكونا طائعَيْن أو مكرهتين، يعني نحن قلنا بالأول هل هو أمر تكوين أو تكليف؟ إذا قلنا: إنه أمر تكليف فظاهر، أنه أمر تكليف ولهذا قال :(طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) إن قلنا: إنه أمر تكوين فإنه لا يستقيم أن يكون طوعًا أو كرهًا؛ لأن أمر التكوين كائن لا محالة، فالظاهر والله أعلم أنه أمر تكليف، ولله تعالى أن يكلِّف ما شاء من عباده أو من خلقه، له أن يكلف ما شاء)) . (تفسير بن عثيمين) .

كما أن الله تعالى بيَّن ذلك الأمر في قوله تعالى : " أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٣) " (النازعات) .

هل يقال بعد ذلك أن تسويتها تعني خلقها ؟!

إذا قلت لك : (لقد بنيت هذا البناء ، رفعت سقفه فسويته) ، هل يقال أن التسوية هي الإيجاد من عدم ؟

إن مواد البناء كانت مخلوقة قبل بنائه .

وكذلك السماء كانت مخلوقة قبل ذلك ، خلقها الله تعالى هي والأرض ثم فتقهما ، وكانت السماء دخاناً ، فبناها الله تعالى وجعلها سبع سموات .

لقد خلق الله تعالى السماوت والأرض قبل أن يستوي إلى السماء ، والآيات تقول ذلك صراحة ، فكيف نتبع الزجاج والأخفش وابن الأنباري وعبد الله بن سلام وغيرهم في فهمهم دون تدبر أو تفكر ؟!

سابعاً : الله تعالى بنى السماء ورفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ، والأرض بعد ذلك دحاها ، أخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها :

قال الله : " أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٣) " (النازعات) .

يؤخذ من الآيات السابقة الترتيب التالي :

١ ـ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا .

٢ ـ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا .

قال الواحدي : (("وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا" ، أي: أبسطها، يقال دحوت أدحو دحوًا، ودَحَيْت أدحي دحيًّا ، وفي حديث علي -رضي الله عنه-: اللَّهُمَّ داحي المدحيات ، يعني باسط الأرضين السبع وموسعها، وهي المدحوات -بالواو- أيضًا وذكرنا الكلام في رتبة خلق السماء والأرض عند قوله : "ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ" (فصلت:) في أول حم السجدة . وقال أبو عبيدة: (دحاها)، و (طحاها): بسطها، يقال: دحوت، ودحيت ، وأنشد قول زيد بن عمرو بن نفيل:

دحاها فلما رآها استوت ... على الماء أرسى عليها الجبال)) . (البسيط للواحدي) .

قلتُ : قد تكون مرحلة جعل الجبال فوق الأرض قبل مرحلة إرسائها ، كما بيَّنتُ .

الفصل الثاني : مرحلة تقدير أقوات الأرض كانت قبل مرحلة دحو الأرض

لقد أدخل السلف والخلف مرحلة "جعل الجبال فوق الأرض والمباركة فيها وتقدير أقواتها" في خلق الأرض ، فأوجدوا تعارضاً بين الآيات ؛ وذلك لأنه إذا كانت هذه المرحلة من خلق الأرض فإن دحو الأرض سيكون من خلق الأرض ، وإن دحو الأرض مرحلة متأخرة ؛ ومن ثم فإن خلق الأرض مرحلة متأخرة حسب فهمهم عن خلق السماوات ، ولكن الآيات تفيد أن الله تعالى بعدما خلق الأرض استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات ، وهم يفسرون تسوية السماء إلى سبع سماوات بخلق السماوت ، وهنا علموا بوجود تعارض حسب تفسيرهم ولكنه لم يراجعوا فهمهم وتفسيرهم .

قال السعدي ـ رحمه الله ـ : ((واعلم أن ظاهر هذه الآية مع قوله تعالى في النازعات لما ذكر خلق السماوات؛ قال : "وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا (٣٠) " : يظهر منهما التعارض! مع أن كتاب الله لا تعارض فيه ولا اختلاف! والجواب عن ذلك ما قاله كثير من السلف: أن خلق الأرض وصورتها متقدم على خلق السماوات كما هنا. ودحي الأرض بأن " أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١)

وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) " : متأخر على خلق السماوات؛ كما في سورة النازعات، ولهذا قال : "وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا " (النازعات: ٣٠- ٣٢) إلى آخره، ولم يقل : والأرض بعد ذلك خلقها. وقوله : "وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا" ؛ أي : الأمر والتدبير)) . (تفسير السعدي) .

التعقيب :

١ ـ قد يشير ظاهر الآيات أن خلق السماوات كان قبل خلق الأرض ؛ لأن الله تعالى قدمها على الأرض عند ذكر الخلق ، ثم ذكر مرحلة جعل الرواسي من فوق الأرض والمباركة فيها وتقدير أقواتها .

٢ ـ نعم ، لم يقل الله : (والأرض بعد ذلك خلقها) .

وكذلك لم يقل : (وَخلق فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَخلق فيها البركة وخلق فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ) .

والسؤال : إذا أخرج السعدي ـ رحمه الله ـ الدحو من الخلق ، فلماذا لم يخرج جعل الراوسي والمباركة والتقدير من الخلق ؟!

وقال أبو بكر الجزائري ـ رحمه الله ـ : ((٤ -لا تعارض بين قوله تعالى في هذه الآية "ثم استوى إلى السماء" المشْعِر بأن خلق السماوات كان بعد خلق الأرض، وبين قوله، "والأرض بعد ذلك دحاها" من سورة والنازعات المفهم أن دَحْوَ الأرض كان بعد خلق السماء، إذ فسر تعالى دَحْوَ الأرض بإخراج مائها ومرعاها وهو ما ترعاه الحيوانات التي سيخلقها عليها، ثم قوله خلق الأرض في يومين على صورة يعلمها هو ولا نعلمها نحن، وتقدير الأقوات في قوله "وقدر فيها أقواتها" لا يستلزم أن يكون فعلا أظهر ما قدره إلى حيز الوجود، وحينئذ لا تعارض بين ما يدل من الآيات على خلق الأرض أولا ثم خلق السماوات وهو الذي صرحت به الأحاديث إذ خلق الأرض في يومين وقدر الأقوات في يومين وبعد

أن خلق السماوات دحا الأرض فأخرج منها ما قدره فيها من أقوات وأرزاق الحيوانات حسب سنته في ذلك)) . (أيسر التفاسير ، أبو بكر الجزائري) .
قلتُ : إن تقدير الأوقات لا يعني إخراجها إلى سطح الأرض .
فلقد أودع الله الماء في باطن الأرض عند بدء خلق الأرض ، ثم أخرجه منها لتظهر على السطح أنهار وعيون وبحار .
قال الشنقيطي : ((وقد ذكرنا في كتابنا دفع إيهام الاضطراب، عن آيات الكتاب: أن آية فصلت هذه، أعني قوله تعالى: "وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا" يفهم منها الجمع بين الآيات الدالة على أن الأرض خلقت قبل السماء كقوله هنا " قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ " (فصلت: ٩) ثم رتب على ذلك بثم، قوله "ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ" (فصلت: ١١) إلى قوله "فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ" (فصلت: ١٢) مع بعض الآيات الدالة على أن السماء خلقت قبل الأرض، كقوله تعالى في النازعات : "أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَاهَا" (النازعات: ٢٧) إلى قوله : " وَٱلأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا" (النازعات : ٣٠) فقلنا في كتابنا المذكور ما نصه: قوله تعالى : " هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي ٱلأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ " (البقرة: ٢٩) الآية، هذه الآية تدل على أن خلق الأرض قبل خلق السماء، بدليل لفظة ثم التي هي للترتيب والانفصال.وكذلك آية حم السجدة، تدل أيضاً على خلق الأرض قبل السماء، لأنه قال فيها : "قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ " (فصلت: ٩) إلى أن قال " ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ " (فصلت: ١١) الآية. مع أن آية النازعات تدل على أن دحو الأرض بعد خلق السماء، لأنه قال فيها " أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَاهَا" (النازعات: ٢٧) ، ثم قال : " "وَٱلأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا" (النازعات: ٣٠) . اعلم أولاً أن ابن عباس رضي الله عنهما سئل عن الجمع بين آية السجدة وآية النازعات، فأجاب بأن الله تعالى خلق الأرض أولاً قبل السماء غير مدحوة، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبعاً في يومين، ثم دحا الأرض بعد ذلك، وجعل فيها الرواسي والأنهار وغير ذلك. فأصل

خلق الأرض قبل خلق السماء، ودحوها بجبالها وأشجارها ونحو ذلك، بعد خلق السماء. ويدل لهذا أنه قال : "وَٱلأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا " (النازعات: ٣٠) ولم يقل خلقها ثم فسر دحوه إياها بقوله : "أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا" (النازعات: ٣١) وهذا الجمع الذي جمع به ابن عباس بين هاتين الآيتين واضح لا إشكال فيه. مفهوم من ظاهر القرآن العظيم إلا أنه يرد عليه إشكال من آية البقرة هذه. وإيضاحه أن ابن عباس جمع بأن خلق الأرض قبل خلق السماء، ودحوها بما فيها بعد خلق السماء. وفي هذه الآية التصريح بأن جميع ما في الأرض مخلوق قبل خلق السماء لأنه قال فيها " هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي ٱلأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ " (البقرة: ٢٩) الآية. وقد مكثت زمناً طويلاً أفكر في حل هذا الإشكال حتى هداني الله إليه ذات يوم ففهمته من القرآن العظيم. وإيضاحه: أن هذا الإشكال مرفوع من وجهين، كل منهما تدل عليه آية من القرآن.الأول: أن المراد بخلق ما في الأرض جميعاً قبل خلق السماء: الخلق اللغوي الذي هو التقدير لا الخلق بالفعل، الذي هو الإبراز من العدم إلى الوجود، والعرب تسمي التقدير خلقاً.
ومنه قول زهير: ولأنت تَفْري ما خلقت وبعض القوم يخلُقُ ثم لا يَفْري . والدليل على أن المراد بهذا الخلق التقدير، أنه تعالى نص على ذلك في سورة فصلت. حيث قال : "وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَآ" (فصلت: ١٠) ثم قال : "ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ (فصلت: ١١) الآية. الوجه الثاني: أنه لما خلق الأرض غير مدحوة وهي أصل لكل، ما فيها كان كل ما فيها كأنه خلق بالفعل لوجود أصله فعلاً. والدليل من القرآن على أن وجود الأصل يمكن به إطلاق الخلق على الفرع، وإن لم يكن موجوداً بالفعل، قوله تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلاۤئِكَةِ" (الأعراف: ١١) الآية، فقوله : "خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ" (الأعراف: ١١) أي بخلقنا وتصويرنا لأبيكم آدم الذي هو أصلكم. وجمع بعض العلماء بأن معنى قوله "وَٱلأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا" (النازعات: ٣٠) أي مع ذلك، فلفظة بعد، بمعنى مع. ونظيره قوله تعالى : "عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ" (القلم: ١٣) وعليه فلا إشكال في الآية. ويستأنس لهذا القول

بالقراءة الشاذة وبها قرأ مجاهد، والأرض مع ذلك دحاها. وجمع بعضهم بأوجه ضعيفة. لأنها مبينة على أن خلق السماء قبل الأرض وهو خلاف التحقيق. منها أن ثم: بمعنى الواو. ومنها: أنها للترتيب الذكري كقوله تعالى : "ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ " (البلد: ١٧) الآية)) . (أضواء البيان في تفسير القرآن ، الشنقيطي) .

التعقيب :

لقد فهم الشنقيطي ـ رحمه الله ـ أن الدحو غير الخلق ، وهذا صواب ، ولكنه أخطأ حينما فسر الجعل والمباركة والتقدير بمعنى الخلق ، ولو فهمهم كما فهم الدحو ، بأنهم مراحل وأحداث بعد خلق الأرض ، لزال التناقض في حساب أيام الخلق ، ولما اضطروا إلى تقدير محذوف وهو كلمة "تتمة" .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : ((فَقَالَ : (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا) أَيْ: نُظَرَاءَ وَأَمْثَالًا تَعْبُدُونَهَا مَعَهُ (ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ) أَي: الْخَالِقُ لِلْأَشْيَاءِ هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ كُلِّهِمْ. وَهَذَا الْمَكَانُ فِيهِ تَفْصِيلٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى :(خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) (الْأَعْرَافِ: ٥٤) ، فَفَصَّلَ هَاهُنَا مَا يَخْتَصُّ بِالْأَرْضِ مِمَّا اخْتَصَّ بِالسَّمَاءِ، فَذَكَرَ أَنَّهُ خَلَقَ الْأَرْضَ أَوَّلًا لِأَنَّهَا كَالْأَسَاسِ، وَالْأَصْلُ أَنْ يُبْدَأَ بِالْأَسَاسِ، ثُمَّ بَعْدَهُ بِالسَّقْفِ، كَمَا قَالَ : (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ) الْآيَةَ (الْبَقَرَةِ: ٢٩) ،. فَأَمَّا قَوْلُهُ :(أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالأرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لَكُمْ وَلأنْعَامِكُمْ) (النَّازِعَاتِ: ٢٧-٣٣) فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ دَحْى الْأَرْضِ كَانَ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ ، فَالدَّحْيُ هُوَ مُفَسَّرٌ بِقَوْلِهِ :(أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا) ، وَكَانَ هَذَا بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ، فَأَمَّا خَلْقُ الْأَرْضِ فَقَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ بِالنَّصِّ، وَبِهَذَا أَجَابَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِيمَا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ عِنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ صَحِيحِهِ، فَإِنَّهُ قَالَ:

وَقَالَ الْمِنْهَالُ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنِّي أَجِدُ فِي الْقُرْآنِ أَشْيَاءَ تَخْتَلِفُ عَلَيَّ قَالَ :(فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ) (الْمُؤْمِنُونَ: ١٠١) ، (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ

يَتَسَاءَلُونَ) (الصَّافَّاتِ: ٢٧) ، (وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا) (النِّسَاءِ: ٤٢) ، (وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ)(الْأَنْعَامِ: ٢٣) ، فَقَدْ كَتَمُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ؟ وَقَالَ :(أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا) إِلَى قَوْلِهِ :(دَحَاهَا) (النَّازِعَاتِ: ٢٧ -٣٠) ، فَذَكَرَ خَلْقَ السَّمَاءِ قَبْلَ [خَلْقِ] الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَ :(قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) إِلَى قَوْلِهِ :(طَائِعِينَ) فَذَكَرَ فِي هَذِهِ خَلْقَ الْأَرْضِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ؟ وَقَالَ :(وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (النِّسَاءِ: ٩٦) ، (عَزِيزًا حَكِيمًا) (النِّسَاءِ: ٥٦) ، (سَمِيعًا بَصِيرًا) (النِّسَاءِ: ٥٨) ، فَكَأَنَّهُ كَانَ ثُمَّ مَضَى. قَالَ -يَعْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ :-(فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ) فِي النَّفْخَةِ الْأُولَى، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، (فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) (الزُّمَرِ: ٦٨) ، فلا أنساب بينهم عند ذَلِكَ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ، ثُمَّ فِي النَّفْخَةِ الْأُخْرَى (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) وَأَمَّا قَوْلُهُ :(مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) (وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا) ، فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لِأَهْلِ الْإِخْلَاصِ ذُنُوبَهُمْ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: تَعَالَوْا نَقُولُ: "لَمْ نَكُنْ مُشْرِكِينَ"، فَيَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ، فَتَنْطِقُ أَيْدِيهِمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُعْرَفُ أَنَّ اللَّهَ لَا يُكْتَمُ حَدِيثًا، وَعِنْدَهُ (يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا) الْآيَةَ (الْحِجْرِ: ٢) . وَخَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاءَ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ، فَسَوَّاهُنَّ فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، ثُمَّ دَحَى الْأَرْضَ، ودَحْيُها: أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا الْمَاءَ وَالْمَرْعَى، وَخَلَقَ الْجِبَالَ وَالْجَمَادَ وَالْآكَامَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ :(دَحَاهَا) وَقَوْلُهُ (خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) فَخُلِقَتِ الْأَرْضُ وَمَا فِيهَا مِنْ شَيْءٍ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، وَخُلِقَتِ السَّمَاوَاتُ فِي يَوْمَيْنِ. (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (النِّسَاءِ: ٩٦) ، سَمَّى نَفْسَهُ بِذَلِكَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ، أَيْ: لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُرِدْ شَيْئًا إِلَّا أَصَابَ بِهِ الَّذِي أَرَادَ، فَلَا يَخْتَلِفَنَّ عَلَيْكَ الْقُرْآنُ، فَإِنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنِيهِ يُوسُفُ بْنُ عَدِيٍّ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي أُنَيْسَةَ ، عَنِ الْمِنْهَالِ -هُوَ ابْنُ عَمْرٍو-بِالْحَدِيثِ. فَقَوْلُهُ :(خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) يَعْنِي: يَوْمَ الْأَحَدِ وَيَوْمَ الِاثْنَيْنِ. (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا) أَيْ: جَعَلَهَا مُبَارَكَةً قَابِلَةً لِلْخَيْرِ وَالْبَذْرِ وَالْغِرَاسِ، (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) ، وَهُوَ: مَا يَحْتَاجُ أَهْلُهَا إِلَيْهِ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَالْأَمَاكِنِ الَّتِي تُزْرَعُ

وَتُغْرَسُ، يَعْنِي: يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ وَالْأَرْبعَاءِ، فَهُمَا مَعَ الْيَوْمَيْنِ السَّابِقَيْنِ أَرْبَعَةٌ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى :(فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ) أَيْ: لِمَنْ أَرَادَ السُّؤَالَ عَنْ ذَلِكَ لِيَعْلَمَهُ)) . (تفسير ابن كثير) .

التعقيب :

أثر ابن عباس لا يصح ، ولقد صنع تفسيره تعارضات ، وليس تعارضاً واحداً .

قال الخازن : ((فإن قلت هذه الآية مشعرة بأن خلق الأرض كان قبل خلق السماء وقوله { والأرض بعد ذلك دحاها } مشعر بأن خلق الأرض بعد خلق السماء فكيف الجمع بينهما. قلت الجواب المشهور أنه تعالى خلق الأرض أولاً ثم خلق السماء بعدها ثم بعد خلق السماء دحا الأرض ومدها. وجواب آخر وهو أن يقال إن خلق السماء مقدم على خلق الأرض فعلى هذا يكون معنى الآية خلق الأرض في يومين، وليس الخلق عبارة عن الإيجاد والتكوين فقط بل هو عبارة عن التقدير أيضاً فيكون المعنى قضى أن يحدث الأرض في يومين بعد إحداث السماء فعلى هذا يزول الإشكال والله أعلم بالحقيقة)) . (لباب التأويل في معاني التنزيل ، للخازن) .

التعقيب :

خلْق السماوت قد يكون قبل خلْق الأرض .

قال الرازي : (ونَقَلَ الواحِدِيُّ في ”البَسِيطِ“ عَنْ مُقاتِلٍ أنَّهُ قالَ: خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ قَبْلَ الأرْضِ)) . (تفسير الرازي / مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي) .

فإذا كان الأمر كذلك فإن الله تعالى خلق السماوت من عدم في أربعة أيام ، ثم خلق الأرض من عدم في يومين .

أما جعْل رواسي من فوق الأرض والمباركة فيها وتقدير أقواتها في أربعة أيام ، ثم تسوية السماء سبع سموات في يومين ، فكل ذلك تصوير وليس خلقاً من عدم .

ثم دحا الله تعالى الأرض بعد ذلك ، أخرج منها الماء والمرعى لكي يحيا الخلق .

وقال فخر الدين الرازي : ((البَحْثُ الثّالِثُ: قَوْلُهُ :(ثُمَّ اسْتَوى إلى السَّماءِ وهي دُخانٌ) مُشْعِرٌ بِأنَّ تَخْلِيقَ السَّماءِ حَصَلَ بَعْدَ تَخْلِيقِ

الأرْضِ، وقَوْلُهُ تَعالى :(والأرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحاها) (النازعات: ٣٠) مُشْعِرٌ بِأنَّ تَخْلِيقَ الأرْضِ حَصَلَ بَعْدَ تَخْلِيقِ السَّماءِ، وذَلِكَ يُوجِبُ التَّناقُضَ، واخْتَلَفَ العُلَماءُ في هَذِهِ المَسْألَةِ، والجَوابُ المَشْهُورُ أنْ يُقالَ: إنَّهُ تَعالى خَلَقَ الأرْضَ في يَوْمَيْنِ أوَّلًا ثُمَّ خَلَقَ بَعْدَها السَّماءَ، ثُمَّ بَعْدَ خَلْقِ السَّماءِ دَحا الأرْضَ، وبِهَذا الطَّرِيقِ يَزُولُ التَّناقُضُ. واعْلَمْ أنَّ هَذا الجَوابَ مُشْكِلٌ عِنْدِي مِن وُجُوهٍ: الأوَّلُ: أنَّهُ تَعالى بَيَّنَ أنَّهُ خَلَقَ الأرْضَ في يَوْمَيْنِ، ثُمَّ إنَّهُ في اليَوْمِ الثّالِثِ (جَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِن فَوْقِها وبارَكَ فِيها وقَدَّرَ فِيها أقْواتَها) وهَذِهِ الأحْوالُ لا يُمْكِنُ إدْخالُها في الوُجُودِ إلّا بَعْدَ أنْ صارَتِ الأرْضُ مَدْحُوَّةً؛ لِأنَّ خَلْقَ الجِبالِ فِيها لا يُمْكِنُ إلّا بَعْدَ أنْ صارَتِ الأرْضُ مَدْحُوَّةً مُنْبَسِطَةً، وقَوْلُهُ تَعالى :(وبارَكَ فِيها) مُفَسَّرٌ بِخَلْقِ الأشْجارِ والنَّباتِ والحَيَوانِ فِيها، وذَلِكَ لا يُمْكِنُ إلّا بَعْدَ صَيْرُورَتِها مُنْبَسِطَةً، ثُمَّ إنَّهُ تَعالى قالَ بَعْدَ ذَلِكَ (ثُمَّ اسْتَوى إلى السَّماءِ) فَهَذا يَقْتَضِي أنَّهُ تَعالى خَلَقَ السَّماءَ بَعْدَ خَلْقِ الأرْضِ وبَعْدَ أنْ جَعَلَها مَدْحُوَّةً. وحِينَئِذٍ يَعُودُ السُّؤالُ المَذْكُورُ. الثّانِي: أنَّهُ قَدْ دَلَّتِ الدَّلائِلُ الهَنْدَسِيَّةُ عَلى أنَّ الأرْضَ كُرَةٌ، فَهي في أوَّلِ حُدُوثِها إنْ قُلْنا: إنَّها كانَتْ كُرَةً والآنَ بَقِيَتْ كُرَةً أيْضًا فَهي مُنْذُ خُلِقَتْ كانَتْ مَدْحُوَّةً، وإنْ قُلْنا: إنَّها غَيْرُ كُرَةٍ ثُمَّ جُعِلَتْ كُرَةً فَيَلْزَمُ أنْ يُقالَ: إنَّها كانَتْ مَدْحُوَّةً قَبْلَ ذَلِكَ ثُمَّ أُزِيلَ عَنْها هَذِهِ الصِّفَةُ، وذَلِكَ باطِلٌ. الثّالِثُ: أنَّ الأرْضَ جِسْمٌ في غايَةِ العِظَمِ، والجِسْمُ الَّذِي يَكُونُ كَذَلِكَ فَإنَّهُ مِن أوَّلِ دُخُولِهِ في الوُجُودِ يَكُونُ مَدْحُوًّا، فَيَكُونُ القَوْلُ بِأنَّها ما كانَتْ مَدْحُوَّةً، ثُمَّ صارَتْ مَدْحُوَّةً قَوْلًا باطِلًا، والَّذِي جاءَ في كُتُبِ التَّوارِيخِ أنَّ الأرْضَ خُلِقَتْ في مَوْضِعِ الصَّخْرَةِ بِبَيْتِ المَقْدِسِ، فَهو كَلامٌ مُشْكِلٌ؛ لِأنَّهُ إنْ كانَ المُرادُ أنَّها عَلى عِظَمِها خُلِقَتْ في ذَلِكَ المَوْضِعِ، فَهَذا قَوْلٌ بِتَداخُلِ الأجْسامِ الكَثِيفَةِ وهو مُحالٌ. وإنْ كانَ المُرادُ مِنهُ أنَّهُ خَلَقَ أوَّلًا أجْزاءً صَغِيرَةً في ذَلِكَ المَوْضِعِ ثُمَّ خَلَقَ بَقِيَّةَ أجْزائِها، وأُضِيفَتْ إلى تِلْكَ الأجْزاءِ الَّتِي خُلِقَتْ أوَّلًا، فَهَذا يَكُونُ اعْتِرافًا بِأنَّ تَخْلِيقَ الأرْضِ وقَعَ مُتَأخِّرًا عَنْ تَخْلِيقِ السَّماءِ. الرّابِعُ: أنَّهُ لَمّا حَصَلَ تَخْلِيقُ ذاتِ الأرْضِ في يَوْمَيْنِ وتَخْلِيقُ سائِرِ الأشْياءِ المَوْجُودَةِ في الأرْضِ في يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ وتَخْلِيقُ السَّماواتِ في

يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ كانَ مَجْمُوعُ ذَلِكَ سِتَّةَ أيّام، فَإذا حَصَلَ دَحْوُ الأرْضِ مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَقَدْ حَصَلَ هَذا الدَّحْوُ في زَمانٍ آخَرَ بَعْدَ الأيّامِ السِّتَّةِ، فَحِينَئِذٍ يَقَعُ تَخْلِيقُ السَّماواتِ والأرْضِ في أكْثَرَ مِن سِتَّةِ أيّامٍ، وذَلِكَ باطِلٌ. الخامِسُ: أنَّهُ لا نِزاعَ أنَّ قَوْلَهُ تَعالى بَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ (ثُمَّ اسْتَوى إلى السَّماءِ وهي دُخانٌ فَقالَ لَها ولِلْأرْضِ اِئْتِيا طَوْعًا أوْ كَرْهًا) كِنايَةٌ عَنْ إيجادِ السَّماءِ والأرْضِ، فَلَوْ تَقَدَّمَ إيجادُ السَّماءِ عَلى إيجادِ الأرْضِ لَكانَ قَوْلُهُ :(اِئْتِيا طَوْعًا أوْ كَرْهًا) يَقْتَضِي إيجادَ المَوْجُودِ وأنَّهُ مُحالٌ باطِلٌ. فَهَذا تَمامُ البَحْثِ عَنْ هَذا الجَوابِ المَشْهُورِ، ونَقَلَ الواحِدِيُّ في "البَسِيطِ" عَنْ مُقاتِلٍ أنَّهُ قالَ: خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ قَبْلَ الأرْضِ، وتَأْوِيلُ قَوْلِهِ :(ثُمَّ اسْتَوى إلى السَّماءِ) ثُمَّ كانَ قَدِ اسْتَوى إلى السَّماءِ وهي دُخانٌ، وقالَ لَها قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ الأرْضَ فَأضْمَرَ فِيهِ كانَ كَما قالَ تَعالى :(قالُوا إنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أخٌ لَهُ مِن قَبْلُ) (يوسف: ٧٧) مَعْناهُ إنْ يَكُنْ سَرَقَ، وقالَ تَعالى : "وكَمْ مِن قَرْيَةٍ أهْلَكْناها فَجاءَها بَأْسُنا" (الأعراف: ٤) والمَعْنى فَكانَ قَدْ جاءَها. هَذا ما نَقَلَهُ الواحِدِيُّ وهو عِنْدِي ضَعِيفٌ؛ لِأنَّ تَقْدِيرَ الكَلامِ ثُمَّ كانَ قَدِ اسْتَوى إلى السَّماءِ، وهَذا جَمْعٌ بَيْنَ الضِّدَّيْنِ؛ لِأنَّ كَلِمَةَ (ثُمَّ) تَقْتَضِي التَّأْخِيرَ، وكَلِمَةَ كانَ تَقْتَضِي التَّقْدِيمَ، والجَمْعُ بَيْنَهُما يُفِيدُ التَّناقُضَ، وذَلِكَ دَلِيلٌ عَلى أنَّهُ لَمْ يُمْكِنْ إجْراؤُهُ عَلى ظاهِرِهِ، وقَدْ بَيَّنّا أنَّ قَوْلَهُ : (اِئْتِيا طَوْعًا أوْ كَرْهًا) إنَّما حَصَلَ قَبْلَ وُجُودِهِما، وإذا كانَ الأمْرُ كَذَلِكَ امْتَنَعَ حَمْلُ قَوْلِهِ: (ائْتِيا) عَلى الأمْرِ والتَّكْلِيفِ، فَوَجَبَ حَمْلُهُ عَلى ما ذَكَرْناهُ)) . (تفسير الرازي / مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي) .

التعقيب :

الأمر يسير ، ولا يحتاج إلى هذا التطويل والتعقيد والتعسير ، ولو تمسك الرازي بالمعنى الأصلي والحقيقي والظاهر لعلم الصواب .

قال الإيجي : (((فَقَضاهُنَّ) :خلقهن، وأحكمهن الضمير إلى السماء على المعنى (سَبْعَ سَماواتٍ)، حال (فِي يَوْمَيْنِ) :يوم الخميس والجمعة، وهذه الآيات مشعرة بأن خلق الأرض ودَحْوَها مقدم على خلق السماوات، وهو مخالف لما في سورة النازعات (والأرض بعد ذلك دحاها) [النازعات: ٣٠]، فلابد أن نقول أن ثم في (ثم استوى إلى السماء) للتراخي الرتبي لا

الزماني، وسنذكره في سورة النازعات)) . (جامع البيان للإيجي) .

وقال ابن عادل : ((فإن قيل: قوله تعالى "ثم استوى إلى السماء وهي دخان" يُشعر بأن تخليق السماء حصل بعد تخليق الأرض، وقوله تعالى " وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا " (النازعات : ٣٠) يشعر بأن تخليق الأرض حصل بعد تخليق السماء وذلك يوجب التناقض.! فالجواب : المشهور أن يقال: إنه تعالى خلق الأرض أولاً، ثم خَلَقَ بعده السماء، ثم بعد أن خَلَقَ السماء دحى الأرض، وبهذه الطريق يزول التناقض. قال ابن الخطيب: وهذا الجواب عندي مُشكِلٌ من وجوه: الأول: أنه تعالى خَلَقَ الأرض في يومين، ثم إنه في اليوم الثالث جعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها، وهذه الأحوال لا يمكن إدخالها في الوجود، إلا بعد أن صارت الأرض منبسطة ثم إنه تعالى قال بعد ذلك: { ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ } فهذا يقتضي أنه تعالى خلق السماء بعد خلق الأرض، وبعد أن جعلها مدحُوَّةً وحينئذ يعود السؤال. الثاني: أنه ورد أنَّ الدلائل الهندسية دلَّت على أن الأرض كرةٌ في أول حدوثها إن قلنا: إنها كرة، والآن بقيتْ كرة أيضاً فهي منذ خلقت كأنها مدحُوَّةٌ، وإن قلنا: إنها غير كرة ثم جعلت كرة فيلزم أن يقال: إنها كانت مدحُوَّةً قبل ذلك، ثم أزيل عنها هذه الصفة وذلك باطل. الثالث: أن الأرض جسمٌ في غاية العِظم والجسم الذي يكون كذلك فإنه من أول دخوله في الوجود يكون مدحوًّا، فالقول بأنها كانت غير مدحوةٍ ثم صارت مدحوة قولٌ باطل. والذي جاء في كتب التواريخ أن الأرض خلقت من موضع الصّخرة ببيت المقدس فهو كلام مشكل لأنه إذا كان المراد أنها على عظمها خلقت من ذلك الموضع ثم خلق بقيةُ أجزائها، وأضيفت إلى تلك الأجزاء التي خلقت أولاً فهذا يكون اعترافاً بأن تخليق الأرض وقع متأخراً عن تخليق السماء. الرابع: أنه لما حصل تخليق ذات الأرض في يومين، وتخليق سائر الأشياء الموجودة في الأرض في يومين وتخليق السموات في يومين آخرين كان مجموع ذلك ستة أيام، فإذا حصل دَحْوُ الأرض بعد ذلك فقد حصل هذا الدحو في زمان آخر بعد الأيام الستة فحينئذ يقع تخليق السموات والأرض في أكثرٍ من

ستة أيام وذلك باطل. الخامس: أنه لا نزاع في أن قوله تعالى بعد هذه الآية: { فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً } كناية عن إيجاد السموات والأرض، فلو تقدم إيجاد السموات لكان قوله تعالى: { ٱئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً } يقتضي إيجاد الموجودات ،انه محال باطل. هذا تمام البحث عن هذا الجواب. ونقل الواحدي في البسيط عن مقاتل أنه قال: خلق السماء قبل الأرض، وتأول قوله: " ثمَّ استوى إلى السماء " ثم كان قد استوى إلى السماء وهي دُخان قبل أن يخلق الأرض، فأضمر فيه كان كما قال تعالى : "قَالُوۤاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ" (يوسف:٧٧) معناه إن يكن سرق، وقال تعالى : "وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا" (الأعراف:٤) (والمعنى) فكان قد جاءها، هذا ما نقله الواحدي قال ابن الخطيب وهذا عندي ضعيف، لأن تقدير الكلام ثُمَّ كان قد استوى إلى السماء. هذا جمع بين الضدين لأن كلمة "ثُمَّ" تقتضي التأخير، وكلمة "كان" تقتضي التقديم، والجمع بينهما يفيد التناقض، وإنما يجوز تأويل كلام الله بما لا يؤدي إلى وقوع التناقض والركاكة فيه. والمختار عندي إن يُقال: خلق السماء مقدم على خلق الأرض، وتأويل الآية أن يقال: الخلق ليس عبارةً عن التكوين والإيجاد، والدليل عليه قوله تعالى : "إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ " (آل عمران:٥٩) فلو كان الخلق عبارةً عن الإيجاد والتكوين لصار تقدير الآية أوجدَهُ من تراب، ثم قال له كن فيكون وهذا محال فثبت أن الخلق ليس عبارةً عن الإيجاد والتكوين، بل هو عبارة عن التقدير، والتقدير في حق الله هو كلمته بأن سيُوجدُهُ. وإذا ثبت هذا فنقول قوله: خلق الأرض في يومين معناه أنه قضى بحدوثِهِ في يومين، وقضاء الله أنه سيحدث كذا في مدة كذا لا يقتضي حدوث ذلك الشيء في الحال فَقَضَاءُ الله بحُدُوثِ الأرض في يومين قد تقدم على إحداثِ السَّماء وحينئذ يزول السؤال . قوله: { فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ }.)) . (اللباب في علوم الكتاب ، ابن عادل) .

التعقيب :

لن يزول التعارض إلا إذا رجعنا إلى المعنى الأصلي والحقيقي للكلمة وأخذنا بالمعنى الظاهر للآيات ، ولم نذهب للمجاز أو التأويل .
أي نقول أن الله تعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، ثم جعل الرواسي من فوق الأرض وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فسواهن سبع سماوات في يومين ، ثم دحى الأرض بعد ذلك .
ولقد بيَّن الله تعالى دحو الأرض بنفسه بأنه "أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا " ، وبالرغم من ذلك يصرون على إدخال دحو الأرض في خلق الأرض ، مما يفسد حساب عدد أيام الخلق ، ويفسد ترتيب الأحدأث !
وقال اطفيش : ((" ثمَّ اسْتَوى إلى السَّماء ")) .... ((وظاهر الآية أن الأرض قبل السماء، وقد قال : "والأرض بعد ذلك دحاها" (النازعات: ٣٠) وهو يدل على تأخيرها، والجواب: أن خلق جرم الأرض متقدم على خلق السماء، ودحوها متأخر، ويجوز أن يكون السماء قبل الأرض فيكون المعنى قضى أن يحدث الأرض فى يومين بعد إحداث السماء. " فقال لها وللأرض ائتيا " بما أودعت فيكما من المنافع وأحضراه، والأمر للتسخير، وليس المعنى أحدثا، فانه قد ذكر حدوثهما قبل إلا أن يقال الفاء للترتيب الذكرى، فيكون الأمر للتكوين، أو قضاهن سبع سماوات، معطوف على استوى الى السماء فى نية الاتصال، وقال لها وللأرض الخ فى نية التأخير عن قضاهن الخ، والمراد اتيانهما بما فيهما، وذكر الاستواء للسماء ولم يذكره للأرض اكتفاء بأنه قدرها، وقدر ما فيها، وقيل: اتيان السماء حدوثها، واتيان الأرض دحوها، تشبيها للخروج من العدم، ودحوا الأرض بالاتيان من مكان، وقيل: لتأت كل منهما الأخرى فيما أريد منهما أمرا بالمواتاة بمعنى الموافقة، فذلك مفاعلة لقراءة ابن عباس آتيا، وقالتا آتينا بالمد من الايتاء بمعنى الموافقة، وليس بلازم لجواز أن الايتاء فى قراءة ابن عباس المسارعة، كما فسرها ابن جنى، أو بمعنى اعطاء أى أعطيا ما أردت منكما)) . (تيسير التفسير ، اطفيش **) .**
التعقيب :
يجب أن نتمسك بالمعنى الحقيقي والظاهر عندئذ سنعلم المعنى الصحيح .

الفصل الثالث : زمن خلق السماوات والأرض وزمن تصويرهما

معطيات الآيات السابقة :

زمن خلق السماوات + زمن خلق الأرض = ٦ أيام

أو

مجموع زمني خلق السماوت والأرض من العدم = ٦ أيام

زمن خلق الأرض من العدم = يومين

زمن تصوير الأرض = ٤ أيام

أو :

زمن جعل الراوسي من فوق الأرض والمباركة فيها وتقدير أقواتها = ٤ أيام

زمن تصوير السماوت = يومين

أو :

زمن قضاء السماوت سبع سموات = يومين

أو زمن تسوية السماوت سبع سموات = يومين

بما أن :

زمن خلق السماوات + زمن خلق الأرض = ٦ أيام

وكان :

زمن خلق الأرض = يومين

إذاً :

زمن خلق السماوات + ٢ = ٦ أيام

وعليه فإن :

زمن خلق السماوات = ٦ – ٢ = ٤ أيام

مجموع زمني تصوير الأرض والسماوت = ٤ + ٢ = ٦ أيام

مجموع زمني خلق وتصوير الأرض = ٢ + ٤ = ٦ أيام

مجموع زمني خلق وتصوير السماوت = ٤ + ٢ = ٦ أيام

مجموع زمني خلق وتصوير السماوات والأرض = ١٢ يوماً

الفصل الرابع : ترتيب الأحداث

إن الله تعالى ذكر كلمة السماوت قبل الأرض ، وتكلم عن جعل الرواسي من فوق الأرض والمباركة فيها وتقدير أقواتها ، فهذا قد يفيد أن خلق السماوات كان قبل خلق الأرض .

وعلى ذلك يكون ترتيب المراحل كما يلي :

١ ـ الله تعالى خلق السَّمَاوَاتِ في أربعة أيام .

٢ ـ الله تعالى خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ .

٣ ـ كانت السماوت والأرض رتقاً ففتقهما الله تعالى .

وهو ما يُعرف بالانفجار العظيم ، والانفجار سيتولد منه دخان ، وهو السماء .

٤ ـ وَجَعَلَ فِي الأرض رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا ، وَبَارَكَ فِيهَا ، وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ .

٥ ـ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ، فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ .

فسواهن سبع سماوات

رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ نراها .

السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا .

٦ ـ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا .

وهذه المرحلة لا بد أن تاتي بعد مرحلة تصوير السماء وجعل الليل والنهار ، فالنبات لن ينمو إلا بالشمس .

٧ ـ ثم استوى على العرش .

فلقد بيَّنت الآيات أن الاستواء على العرش كان بعد خلق السماوات والأرض ، وبينت أنه كان بعد رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ نراها .

والظاهر أنه سيكون بعد دحو الأرض وإخراج مائها ومرعاها .

تنبيهات :

التنبيه الأول : قد يكون إرساء الجبال في المرحلة السادسة ، وقد لا يكون ؛ لأن الواو لا تفيد الترتيب إلا لقرينة أو دليل .

تدبر الآيات التالية :

وقال تعالى : "وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا " (الأحزاب : ٧)

.

فالواو في قوله تعالى : وَمِنْ نُوحٍ " ، ليست للترتيب .
وقال تعالى : " وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ (٧٤) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) " (الأنبياء) .
فالواو في قوله تعالى : "وَنُوحًا" ، ليست للترتيب .
قال تعالى : " أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا (٢٧) " (المرسلات) .
فالأرض تضم وتجمع الأحياء والأموات ، وهذا بداهة بعد مرحلة جعل الرواسي والإسقاء .
أي أن الواو في قوله تعالى : " وَجَعَلْنَا " ، ليست للترتيب .
وقال تعالى : " أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦) " (النبأ) .
وإن بناء السموات السبع كان قبل خلق الإنسان .
أي أن الواو في قوله تعالى : " وَبَنَيْنَا " ، ليست للترتيب .
وقال تعالى : " وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٣) " (

النازعات) .
كذلك فإن "الواو" في قوله تعالى : " وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا" ، لا تعني الترتيب ، أي أنها لا تفيد أن إرساء الجبال كان في هذه المرحلة ، فقد يكون قبل دحو الأرض ، أي أنه قد يكون هو نفسه جعل الرواسي من فوق الأرض ، وهو المذكور في المرحلة الثانية .
فضلاً عن أن المرحلة السادسة هي مرحلة دحو الأرض ، وليس إرساء الجبال .
وإن الله تعالى إذا تكلم عن الجبال يتكلم عنها بشكل منفصل عن الأرض .
قال تعالى : " إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا " (الأحزاب : ٧٢) .
وقال تعالى : " وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ " (النحل : ١٥) .
وقال تعالى : " خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ " (لقمان : ١٠) .
وقال تعالى : " وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ " (الرعد : ٣) .

وقال تعالى : " وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ " (الحجر : ١٩) .

وقال تعالى : " وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ " (الأنبياء : ٣١) .

وقال تعالى : " أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ " (النمل : ٦١) .

وقال تعالى : " وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ " (فصلت : ١٠) .

وقال تعالى : " وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ " (ق : ٧) .

وقال تعالى : " وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا " (المرسلات : ٢٧) .

لذا فإن إرساء الجبال ليس من دحو الأرض ، قال تعالى : " وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٣) " (النازعات) .

أما إذا قلنا أن أن جعل الرواسي من فوق الأرض كان في المرحلة الثانية ، أما إرساؤها فكان في المرحلة السادسة .

أي أنه تعالى وضع الجبال من فوق الأرض في المرحلة الثانية ، ثم أرساها في المرحلة السادسة ، فسنقول حينئذ أن الله تعالى سماها "الرواسي" ،

وقال : "أرساها" ، وهذا قد يفيد أنها كانت تتحرك أو تسير ثم رَسَت أو كانت من فوق الأرض ثم غرسها الله تعالى في الأرض حتى صارت وتداً .

ويوجد فرق بين الجملتين التاليتين :

الجملة الأولى : جعلت خشبة الوتد من فوق الأرض .
وتعني : أنني لم أغرسها بعد ، أو جهزتها لكي أغرسها .
الجملة الثانية : غرست خشبة الوتد أو وتدت الوتد .
وتعني استقرار الوتد .
كذلك ، فمرحلة جعل الجبال أو الرواسي من فوق الأرض هي قبل غرسها أو إرسائها .
أما مرحلة إرساء الجبال فهي مرحلة جعلها أوتاداً ، أي مرحلة غرسها في الأرض .
وقد يقال فلم سميت الجبال بالرواسي حتى قبل غرسها ؟
قلتُ : قد يكون باعتبار ما يكون (اعتبار ما سيكون) .
وكما يسمى الوتد بهذا الاسم قبل غرسه في الأرض .

وعلى ذلك فإنه توجد ثلاثة احتمالات بشأن الجبال ، أذكرها دون ترجيح ، وهي :

الاحتمال الأول : أن جعل الرواسي من فوق الأرض هو نفسه إرساء الجبال ؛ لسببين :

السبب الأول : أن الواو لا تفيد الترتيب إلا بدليل أو قرينة .

السبب الثاني : أن الله يتكلم في المرحلة السادسة عن مرحلة دحو الأرض ، وإن إرساء الجبال ليس من دحو الأرض .

الاحتمال الثاني : أن جعل الرواسي من فوق الأرض كان في المرحلة الثانية ، أما إرساؤها فكان في المرحلة السادسة ، ولكنه ليس من دحو

الأرض ؛ لأن الله تعالى يتكلم عن الجبال بشكل منفصل عن الأرض .
الاحتمال الثالث : أن جعل الرواسي من فوق الأرض كان في الرحلة الثانية ، أما إرساء الجبال فكان في المرحلة السادسة ، وأنه من دحو الأرض .

التنبيه الثاني : أن تقدير أقوات الأرض كان في المرحلة الثانية ، أما دحو الأرض وإخراج الماء والمرعى منها ، فكان في المرحة السادسة .

التنبيه الثالث : إن الله تعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام .

ثم جَعَلَ فِي الأرض رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا ، وَبَارَكَ فِيهَا ، وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ .

ثم استوى إلى السماء وهي دخان فسواهن سبع سماوات وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا .

ثم دحا الأرض ، أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا .

وهذه المرحلة لن تكون إلا بوجود الشمس ؛ لذا جاءت بعد تسوية السماء سبع سماوات وإغطاش ليلها ، وإخراج ضحاها .

فليس معنى أن العناصر موجودة في الأرض قبل ذلك أنها ستنبت ؛ لأنه لا بد من وجود الشمس .

وعلى هذا فلا يعقل أن يظن أحد أن مرحلة خلق الأرض أو مرحلة تقدير الأقوات هما نفسهما مرحلة الدحو وإخراج الماء والمرعى .

الفصل الخامس : معنى كلمة "خَلَقَ"

كلمة "خَلَقَ" تطلق على معنيين :

المعنى الأول : الإيجاد أو الإحداث من العدم .

المعنى الثاني : التصوير والتشكيل والتحويل والتغيير والتطوير "أطواراً" .

وهو تحويل المادة من شكل إلى شكل آخر ، أو تصويرها وتركيبها ، كخلق الإنسان من طين ، وخلق الشجر من النواة ، وهذا النوع قد يُنسَب للإنسان .

والقرآن يفرق بين النوعين .

قال تعالى : " وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ " (الأعراف : ١١) .

وقال تعالى : " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ " (الروم : ٢٠) .

وقال تعالى : " وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ " (فاطر : ١١) .

وقال تعالى : " هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " (غافر :

٦٧) .

وقال تعالى : " قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا " (الكهف : ٣٧) .

وقال تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ " (الحج : ٥) .

وقال تعالى : " هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ " (الأنعام : ٢) .

وقال تعالى : " خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (١٤) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (١٥) " (الرحمن) .

وقال تعالى : " أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (٢١) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) " (المرسلات) .

وقال تعالى : " الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (٩) " (السجدة) .

وقال تعالى : " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) " (المؤمنون) .

وقال تعالى : " خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ " (النحل : ٤) .

وقال تعالى : " أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ " (يس : ٧٧) .

وقال تعالى : " وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (٤٦) " (النجم) .

وقال تعالى : " أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (٤٠) " (القيامة) .

وقال تعالى : " إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا " (الإنسان : ٢) .

وقال تعالى : " قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) " (عبس) .

وقال تعالى : " خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ " (العلق : ٢) .

وقال تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ

وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا " (النساء : ١) .

وقال تعالى : " هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ " (الأعراف : ١٨٩) .

وقال تعالى : " خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ " (الزمر : ٦) .

وقال تعالى : " وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا " (نوح : ١٤) .

فالله تعالى خلقنا من تراب ، ومن طين ، ومن صلصال كالفخار ، ومن ماء مهين ، ومن نطفة ، ومن علقة ، ومن مضغة ، ومن عظام ، وهذا كله تصوير وتحويل وليس خلقاً من عدم .

وعيسى عليه السلام كان يخلق من الطين كهيئة الطير ، وهذا تصوير وليس خلقاً من عدم .

قال تعالى عن عيسى عليه السلام : " وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي

ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " (آل عمران : ٤٩) .

فهذا الخلق ليس من العدم بل هو تصوير وتحويل .

لذا ، حتى لو قال الله تعالى "خلق" بدلاً من "جعل" ، و "بارك" و "قدر" ، في سورة فصلت لما كان هناك أي تعارض عند من كان عليماً باللغة ؛ وذلك لوجود فرق بين الخلق الذي هو الإيجاد من العدم ، والخلق الذي يعني التصوير والتشكيل والتحويل والتغيير .

فالعاقل سيعلم أنه تعالى يقصد هنا التصوير ، بينما يقصد في بعض الآيات الأخرى الخلق من العدم .

ولكن الله تعالى بالرغم من وضوح ذلك لم يقل "خلق" ، بل قال : "جعل" ، و "بارك" ، و "قدر" ، والعجيب أن المفسرين فسروا هذه الأفعال بالخلق ، والأعجب من ذلك أنهم فسروها بالخلق من العدم ، وليس التصوير والتحويل ، فأفسدوا الحساب والترتيب !

ولما أرادوا إصلاح حسابهم خرجوا عن اللسان العربي وأتوا بأمثلة باطلة ، ولو سلمنا جدلاً بها فإنها لا تصلح لأن الفعل فيها واحد بينما الأفعال في الآيات مختلفة .

الفصل السادس : أقوال المفسرين

أولاً : من تفاسير أهل السنة :

١ ـ قال الزجاج : (((وَبارَكَ فِيها وقَدَّرَ فِيها أقْواتَها)، في الثُّلاثاءِ، والأرْبعاءِ، فَصارَتِ الجُمْلَةُ أرْبَعَةَ أيّام، فَذَلِكَ قَوْلُهُ :(وَجعَلَ فِيها رَواسِيَ مِن فَوْقِها وبارَكَ فِيها وقَدَّرَ فِيها أقْواتَها في أرْبَعَةِ أيّام)، أيْ: في تَتِمَّةِ أرْبَعَةِ أيّامٍ)) . (معاني الزجاج) .

٢ ـ قال الأخفش : ((وأما قوله (خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) ثم قال (أَرْبَعَةِ أَيَّام) فانما يعني ان هذا مع الأول اربعة ايام كما تقول "تَزَوَّجْتُ أَمْسِ امرأةً، واليومَ ثِنْتَيْنِ" واحداهما التي تزوجتها أمس) . (معاني القرآن للأخفش ، الأخفش الأوسط) .

٣ ـ قال النحاس : ((ثم قال جل وعز : (("فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّام سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ" . المعنى: في تتمة أربعة أيام)) . (معاني القرآن للنحاس) .

٤ ـ قال الطبري : ((يقول تعالى ذكره: وجعل في الأرض التي خلق في يومين جبالا رواسي، وهي الثوابت في الأرض من فوقها، يعني: من فوق الأرض على ظهرها.)) ...... ((وقال بعض نحويي البصرة: قال : خلق الأرض في يومين، ثم قال في أربعة أيام، لأنه يعني أن هذا مع الأول أربعة أيام، كما تقول: تزوّجت أمس امرأة، واليوم ثنتين، وإحداهما التي تزوّجتها أمس)) . (تفسير الطبري) .

٥ ـ قال البغوي : (((فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ) يُرِيدُ خَلَقَ مَا فِي الْأَرْضِ، وَقَدَّرَ الْأَقْوَاتَ فِي يَوْمَيْنِ يَوْمُ الثُّلَاثَاءِ وَالْأَرْبعَاءِ فَهُمَا مَعَ الْأَحَدِ وَالِاثْنَيْنِ أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ، رَدَّ الْآخِرَ عَلَى الْأَوَّلِ فِي الذِّكْرِ، كَمَا تَقُولُ: تَزَوَّجْتُ أَمْسِ امْرَأَةً وَالْيَوْمَ ثِنْتَيْنِ، وَإِحْدَاهُمَا هِيَ الَّتِي تَزَوَّجْتَهَا بِالْأَمْسِ)) . (تفسير البغوي)

٦ ـ قال ابن الجوزي : ((قَوْلُهُ تَعالى :(فِي أرْبَعَةِ أيّام) أيْ: في تَتِمَّةِ أرْبَعَةِ أيّام. قالَ الأخْفَشُ: ومِثْلُهُ [أنْ] تَقُولُ: تَزَوَّجْتُ أمْسِ امْرَأةً، واليَوْمَ ثِنْتَيْنِ، وإحْداهُما الَّتِي تَزَوَّجْتُها أمْس. قالَ المُفَسِّرُونَ: يَعْنِي: الثُّلاثاءَ والأرْبِعاءَ، وهُما مَعَ الأحَدِ والإثْنَيْنِ أرْبَعَةُ أيّام)) . (تفسير ابن الجوزي) .

٧ ـ قال ابن الجوزي : ((في أربعة أيام أي تتمة أربعة للسائلين في كم خلقت)) . (تذكرة الاريب في تفسير الغريب ، ابن الجوزي) .

٨ ـ قال ابن جزي : (" فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّام" يريد أن الأربعة كملت باليومين الأولين، فخلق الأرض في يومين وجعل فيها ما ذكر في يومين، فتلك أربعة أيام وخلق السمٰوات في يومين فتلك ستة أيام حسبما ذكر في مواضع كثيرة، ولو كانت هذه الأربعة الأيام زيادة على اليومين المذكورين قبلها لكانت الجملة ثمانية أيام، بخلاف ما ذكر في المواضع الكثيرة)) . (التسهيل لعلوم التنزيل ، ابن جزي الغرناطي) .

٩ ـ قال الماوردي : (((فِي أرْبَعَةِ أيّام) يَعْنِي تَتِمَّةَ أرْبَعَةِ أيّام، ومِنهُ قَوْلُ القائِلُ: خَرَجْتُ مِنَ البَصْرَةِ إلى بَغْدادَ في عَشَرَةِ أيّامٍ، وإلى الكُوفَةِ في

خَمْسَةَ عَشْرَ يَوْمًا، أيْ في تَتِمَّةِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا)) . (تفسير الماوردي) .

١٠ ـ قال الماتريدي : (وقوله : "وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّام سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ" أي: قدر في الأرض أقوات أهلها وأرزاقهم في أربعة أيام سواء للسائلين)) .... ((ثم قوله: "وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّام" الأربعة الأيام التي ذكر هي مع خلق الأرض: يومين لخلق الأرض، ويومين لتقدير الأقوات لأهلها والأرزاق فيكون أربعة، ثم ذكر لخلق السماوات يومين، فإذا جمع يكون ستة أيام، وهو ما ذكر في آية أخرى : "خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّام" (الفرقان: ٥٩) ، فكان تمام ذلك في ستة أيام، وقد ذكرنا معنى ستة أيام في غير موضع)) . (تأويلات أهل السنة ، الماتريدي) .

١١ ـ قال ابن عبد السلام : ((" فِى أَرْبَعَةِ أَيَام " في تتمة أربعة أيام لقولك خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام وإلى الكوفة في خمسة عشر يوماً أي في تتمة خمسة عشر يوماً وفي الحديث مرفوع أنه خلق الأرض يوم الأحد والأثنين والجبال يوم الثلاثاء والشجر والماء والعمران يوم الأربعاء والسماء يوم الخميس والنجوم والشمس والقمر والملائكة وآدم يوم الجمعة)) . (تفسير القرآن ، ابن عبد السلام) .

١٢ ـ قال النسفي : ((" قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ " الأحد والاثنين تعليماً للأناة ولو أراد أن يخلقها في لحظة لفعل { وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً } شركاء وأشباهاً { ذٰلِكَ } الذي خلق ما سبق { رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ } خالق جميع الموجودات وسيدها ومربيها { وَجَعَلَ فِيهَا } في الأرض { رَوَاسِىَ } جبالاً ثوابت { مِّن فَوْقِهَا } إنما اختار إرساءها فوق الأرض لتكون منافع الجبال ظاهرة لطالبيها، وليبصر أن الأرض والجبال أثقال على أثقال كلها مفتقرة إلى ممسك وهو الله عز وجل { وَبَـٰرَكَ } بالماء والزرع والشجر والثمر { فِيهَا } وفي الأرض. وقيل: وبارك فيها وأكثر خيرها { وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوٰتَـهَا } أرزاق أهلها ومعايشهم وما يصلحهم، وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه } وقسم فيها أقواتها } { فِى أَرْبَعَةِ أَيَّام } في تتمة أربعة أيام يريد بالتتمة اليومين تقول: سرت من البصرة إلى بغداد في عشرة وإلى الكوفة في خمسة عشر أي تتمة خمسة عشر ولا بد من هذا التقدير، لأنه لو أجرى على الظاهر لكانت ثمانية أيام لأنه قال { خَلَقَ ٱلأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ } ثم قال { وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوٰتَـهَا فِى أَرْبَعَةِ أَيَّام } ثم قال { فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ } فيكون خلاف قوله "فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ " (ق:٣٨) في موضع آخر، وفي الحديث : " إن الله تعالى خلق

الأرض يوم الأحد والإثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والعمران والخراب فتلك أربعة أيام، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة، وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة من يوم الجمعة "قيل: هي الساعة التي تقوم فيها القيامة { سَوَآءً } ـ { سَوَآءٍ }: ـ يعقوب صفة للأيام أي في أربعة أيام مستويات تامات، { سَوَآء } بالرفع: يزيد أي هي سواء، غيرهماا { سَوَآء } على المصدر أي استوت سواء أي استواء أو على الحال { لِّلسَّآئِلِينَ } متعلق بـ { قدر } أي قدر فيها الأقوات لأجل الطالبين لها والمحتاجين إليها، لأن كلاً يطلب القوت ويسأله، أو بمحذوف كأنه قيل: هذا الحصر لأجل من سأل في كم خلقت الأرض وما فيها)) . (مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، النسفي) .

١٣ ـ قال الخازن : (("وجعل فيها رواسي" أي جبالاً ثوابت { من فوقها } أي من فوق الأرض { وبارك فيها } أي في الأرض بكثرة الخيرات الحاصلة فيها وهو ما خلق فيها من البحار والأنهار والأشجار والثمار وخلق أصناف الحيوانات وكل ما يحتاج إليه { وقدر فيها أقواتها } أي قسم في الأرض أرزاق العباد والبهائم وقيل قدر في كل بلدة ما لم يجعله في الأخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة وقيل قدر البر لأهل قطر من الأرض والتمر لأهل قطر آخر والذرة لأهل قطر والسمك لأهل قطر وكذلك سائر الأقوات. قيل إن الزراعة أكثر الحرف بركة لأن الله تعالى وضع الأقوات في الأرض قال الله تعالى: { وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام } أي مع اليومين الأولين فخلق الأرض في يومين وقدر الأقوات في يومين وهما يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء فصارت أربعة أيام رد الآخر على الأول في الذكر { سواء للسائلين } معناه سواء لمن سأل عن ذلك أي فهكذا الأمر سواء لا زيادة فيه ولا نقصان جواباً لمن سأل في كم خلقت الأرض والأقوات { ثم استوى إلى السماء } أي عمد إلى خلق السماء { وهي دخان } ذلك الدخان كان بخار الماء، قيل كان العرش قبل خلق السموات والأرض على الماء فلما أراد الله تعالى أن يخلق السموات والأرض أمر الريح فضربت الماء فارتفع منه بخار كالدخان فخلق منه السماء ثم أيبس الماء فخلقه أرضاً واحدة ثم فتقها فجعلها سبعاً. فإن قلت هذه الآية مشعرة بأن خلق الأرض كان قبل خلق السماء وقوله { والأرض بعد ذلك دحاها } مشعر بأن خلق الأرض بعد خلق السماء فكيف الجمع بينهما. قلت الجواب المشهور أنه تعالى خلق الأرض أولاً ثم خلق السماء بعدها ثم بعد خلق السماء دحا الأرض ومدها. وجواب آخر وهو

أن يقال إن خلق السماء مقدم على خلق الأرض فعلى هذا يكون معنى الآية خلق الأرض في يومين، وليس الخلق عبارة عن الإيجاد والتكوين فقط بل هو عبارة عن التقدير أيضاً فيكون المعنى قضى أن يحدث الأرض في يومين بعد إحداث السماء فعلى هذا يزول الإشكال والله أعلم بالحقيقة)) . (لباب التأويل في معاني التنزيل ، للخازن) .

١٤ ـ قال القمي النيسابوري : (("أئنكم لتكفرون بالذي " سمعتم ممن تصدّقونهم من أهل الكتاب غيركم أنه { خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً } عمم الكفر أوّلاً ثم خصص بنوع الشرك { وجعل فيها رواسي } ومعنى { من فوقها } أي بالنسبة إلى سكان المعمورة تذكيراً لنعمة فوق نعمة فإن الجبال منافعها أكثر من أن تحصى يعرف بعضها أهلها ولعلنا قد عددنا في أوّل "البقرة" طرفاً منها. { وبارك فيها } بوضع الخيرات الكثيرة فيها. قال ابن عباس: يريد شق الأنهار وخلق الجبال والأشجار والحيوانات وكل ما يحتاج إليه { وقدّر فيها أقواتها } عن مجاهد: يعني المطر فإنه بمنزلة الغذاء للأرض به حياتها. وعن محمد بن كعب: أراد أقوات أهلها ومعايشهم وما يصلحهم. وقيل: لا حاجة إلى الإضمار فإن الإضافة تحسن لأدنى ملابسة أي وقدر فيها أقواتها التي يختص حدوثها بها { في أربعة أيام } يعني مع اليومين الأوّلين فيكون إيجاد نفس الأرض في يومين وإيجاد هذه الأشياء في يومين آخرين والمجموع أربعة أيام وخلق السماء في تتمة ستة فتكون هذه الآية موافقة لسائر الآيات، وقد سبق هذا المعنى في أوّل سورة البقرة. من قرأ { سواء } بالرفع فعلى أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو سواء. ثم إن كان الضمير للأربعة فمعناه أن تلك الأيام مستوية في الطول والقصر كأيام خط الاستواء، أو هي تامة غير ناقصة بشيء فقد يطلق لفظ الكل على الأكثر، وهذه إحدى فوائد العدول عن العبارة الصريحة وهي أن لو قال في يومين آخرين. وقال بعضهم: من فوائده أنه لا يجوز عطف قوله { وجعل } على { خلق } لأن قوله { وتجعلون } معطوف على { لتكفرون } ولا يجوز أن يحال بين صلة الموصول وما يعطف عليه بأجنبي لا يقال: جاءني الذي يكتب وجلس يقرأ فلا بدّ من إضمار فعل مثل الأول فتقدير الكلام: ذلك أن رب العالمين خلق الأرض وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام، وهو كلام لا يرد عليه سؤال أصلاً. ومن قرأ بالجر فعلى وصف الأربعة بالاستواء والمعنى كما مر. ومن قرأ بالنصب فعلى المصدر أي استوت استواء. ثم إن كان الضمير للأربعة فالمعنى كما قلنا، وإن كان للأقوات. وكذا في قراءة

الرفع احتمل أن يكون { للسائلين } متعلقاً به أي الأقوات والأرزاق سواء لمن سأل ولمن لم يسأل لما روى عن ابن عباس قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا رديفه يقول: خلق الله الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة، وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة سواء لمن سأل ولمن لم يسأل، وأنا من الذين لم يسألوا الله الرزق، ومن سأل فهو جهل منه. واحتمل أن يكون قوله { للسائلين } متعلقاً بقوله { وقدّر } أي قدّر فيها الأقوات لأجل الطالبين لها المحتاجين إليها وهم في الاحتياج سواء. وقيل: إنه متعلق بمحذوف كأنه قيل: هذا الحصر والبيان لأجل من سأل في كم خلقت الأرض وما فيها، لأن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك. قوله { ثم استوى إلى السماء } أي توجه بداعي الحكمة بعد خلق الأرض لا دحوها إلى خلق السماء، وقد مر في أول "البقرة". قوله { وهي دخان } ذكر أصحاب الأثر وجاء في أوّل توراة اليهود أن عرش الله قبل خلق السموات والأرض كان على الماء فأحدث في ذلك الماء سخونة فارتفع زبد ودخان، أما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق الله منه الأرض، وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق الله منه السموات. وزعم المتكلمون أن الله سبحانه خلق الأجزاء التي لا تتجزأ فكانت مظلمة عديمة النور، ثم ركبها وجعلها سموات وكواكب وشمساً وقمراً وأحدث صفة الضوء فيها فحينئذ صارت مستنيرة فصحت تسمية تلك الأجزاء قبل استنارتها بالدخان، لأنه لا معنى للدخان إلا أنها أجزاء متفرقة غير متواصلة عديمة النور. واعلم أن ظاهر قوله { ثم استوى } يدل على أن خلق السماء متأخر عن خلق الأرض وقد جاء مثله في آيات أخر. وفي الآثار، إلا أن الواحدي نقل في البسيط عن مقاتل أنه قال: خلق الله السماء قبل الأرض فتأوّل الآية بأن لفظة كان مضمرة أي ثم كان قد استوى كما في قوله تعالى " إن يسرق فقد" (يوسف: ٧٧) أي إن يكن يسرق. وزيف بأن الجمع بين "ثم" الدال على التأخر وبين إضمار "كان" الدال على التقدم جمع بين النقيضين. ويمكن أن يجاب بأن "ثم" ههنا لترتيب الأخبار. وقال الإمام فخر الدين الرازي: المختار عندي أن تكوين السماء مقدم على تكوين الأرض والخلق الوارد في الآية بمعنى التقدير كقوله } خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون" (آل عمران: ٥٩) فإن إيجاد الموجود محال. فمعنى الآية أنه قضى بحدوث الأرض في يومين أي حكم بأنه سيحدث كذا في مدة كذا. قلت: لو لم يكن قوله تعالى { وجعل فيها رواسي من فوقها } إلى قوله { أربعة أيام } لكان هذا التأويل له وجه. وقال بعض الصوفية: خلق أرض البشرية في يومي

الهواء والطبيعة وهما من الأنداد، وجعل لها رواسخ العقل من فوقها لتستقر بها، وبارك فيها بالحواس الخمسة، وقدر فيها أقواتها من سائر القوى البشرية في تتمة أربعة أيام يعني في يومي الروح الحيواني والطبيعي، ثم استوى إلى سماء القلب وهي دخان نار الروحانية فقضى سماء القلب أطواراً سبعة كقوله } { وقد خلقكم أطواراً] { نوح: ١٥] أوّلها الوسوسة ثم الهواجس ثم الرؤية } ما كذب الفؤاد ما رأى] {النجم: ١١] ثم الحكمة "ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه" ثم ظهور المغيبات ثم المحبة ثم التجلي في يومي الروح والإلهام الرباني. قوله { فقال لها وللأرض ائتيا } الآية. للمفسرين فيه قولان: الأول إجراء الكلام على ظاهره فإنه ليس بمستبعد من الله إنطاق أيّ جسم فرض بل إيداع الحياة والفهم فيه ولهذا قال { طائعين } على لفظ جمع المذكر السالم، فإن جمع المؤنث السالم لا يختص بالعقلاء. ووجه الجمع أن أقل الجمع اثنان أو لأن كل واحد منهما سبع. ومن هؤلاء من قال: نطق من الأرض موضع الكعبة، ومن السماء ما بحذائها، فجعل الله لها حرمة على سائر الأرض. وعلى هذا القول لا بد أن يكون هذا التخاطب بعد الوجود فقالوا: معناه ائتيا بما خلقت فيكما أما أنت يا سماء فأطلعي الشمس والقمر والنجوم، وأما أنت يا أرض فاخرجي ما خلقت فيك من النبات فقالتا: جئنا بما أحدثت فينا مستجيبين لأمرك. ومعنى الإتيان الحصول والوقوع كما يقال: أتى عمله مرضياً. ويجوز أن يراد لتأت كل منكما صاحبتها الإتيان الذي تقتضيه الحكمة من كون الأرض قراراً والسماء سقفاً لها. وقوله { طوعاً أو كرهاً } إظهار لكمال القدرة والتقدير أبيتما أو شئتما كما يقول الجبار لمن تحت يده: لتفعلن هذا شئت أو أبيت، وانتصابهما على الحال بمعنى طائعين أو كارهين. والقول الثاني أن هذا تمثيل لنفوذ قدرته فيهما ولا قول ثمة، وعلى هذا لا يبعد أن يكون المقصود إيجادهما على وفق إرادته وهما في حيز العدم، وأن يكون المراد ما تقدم. وقال بعضهم: الطوع يرجع إلى السماء لأن أحوالها على نهج واحد لا يختلف. وشبه مكلف مطيع والكره يعود إلى الأرض لأنها مكان تغيير الأحوال ومحل الحوادث والمكاره. قلت: لعل هذين الوصفين لهما باعتبار سكانهما. قوله { فقضاهن } قضاء الشيء إتمامه والفراغ منه مع الإتقان. والضمير إما راجع إلى السماء على المعنى لأنها سموات سبع. وانتصب { سبع سموات } على الحال. وإما مبهم مميز بما بعده. يروى أنه خلق الأرض في يوم الأحد والاثنين، وخلق سائر ما في الأرض في يوم الثلاثاء والأربعاء، وخلق السموات وما فيها في يوم الخميس والجمعة، وفرغ في

آخر ساعة من يوم الجمعة، فخلق فيها آدم وأسكنه الجنة وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة. { وأوحى في كل سماء أمرها } أي أمر أهلها من العبادة والتكليف الخاص بكل منهم، فبعضهم وقوف وبعضهم ركوع وبعضهم سجود، وعلى هذا احتمل أن يكون خلق الملائكة مع السموات وقبلها. وقيل: الإيحاء ههنا التكوين والإيجاد وأمرها شأنها وما يصلحها { وزينا السماء الدنيا بمصابيح } أي بالنيرات المضيئة كالمصباح { وحفظناها } حفظاً من الشياطين المسترقة للسمع كما مرّ مراراً. وجوّز جار الله أن يكون { حفظاً } مفعولاً له على المعنى كأنه قال: وخلقنا المصابيح زينة { وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم } فلكمال عزته قدر على خلق ما خلق ولشمول علمه دبر ما دبر)) . (غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، القمي النيسابوري) .

١٥ ـ قال ابن عادل : ((قوله تعالى: { قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ } الآية قرأ ابنُ كثير أينكم لتكفرون ـ بهمزة وبعدها ياء محققة ساكنة بلا مد ـ والباقون ممدوداً مشدد النون. وهو استفهام بمعنى الإنكار، أي كيف تكفرون بالله، وكيف يجوز جعل هذه الأنداد الخسيسة أنداداً لله مع أنه تعالى خلق الأرض في يومين، وهما يوم الأحد ويوم الاثنين، وتمم بقية مصالحها في يومين آخرين وخلق السموات بأسرها في يومين آخرين، فمن قدر على خلق هذه الأشياء العظيمة كيف يعقل الكفر به، وإنكار قدرته على الحَشْر والنَّشر؟)) ...... ((: { وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ } وهذا مستأنف ولا يجوز عطفه على صلة الموصول، للفصل بينهما بأجنبي، وهو قوله: "وَتَجْعَلُونَ" فإنه معطوف على قوله: "لتكفرون" كما تقدم. والمراد بالرواسي الجبال. فإن قيل: ما الفائدة في قوله: "من فوقها" ولم يقتصر على قوله { وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ } كما اقتصر على قوله " وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ" (المرسلات:٢٧) وقوله " وَجَعَلْنَا فِي ٱلأَرْضِ رَوَاسِيَ " (الأنبياء:٣١) وقوله : "وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ " (الرعد:٣) فالجواب: أنه تعالى لو جعل فيها رواسي من تحتها لأوهم ذلك أن تلك الأساطين التَّحتانيَّة هي التي أمسكت هذه الأرض الثقيلة عن النزول، ولكنه تعالى قال: خُلِقَتْ هذه الجبال الثقال فوق الأرض ليرى الإنسان بعينه أنَّ الأرض والجبال أثقالٌ وكلها مفتقرة إلى مُمْسِكٍ وحافظٍ وما ذاك الحافظ المدبِّر إلا الله سبحانه وتعالى. النوع الثاني: قوله "وَبَارَكَ فِيهَا" أي في الأرض بما خلق من البحار والأنهار والأشجار والثمار. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد شقَّ الأنهار، وخلق الجبال وخلق الأشجار والنار، وخلق أصناف الحيوانات، وكل ما

يحتاج إليه من الخيرات. النوع الثالث: قوله { وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا } قيل: المعنى وقدر فيها أقوات أهلِها ومعايشهم وما يصلحهم وقال محمد بن كعب: قدر أقوات الأبدان قبل أن يخلق الأبدان. وقال مجاهد: وقدر فيها أقواتها من المطر. وعلى هذا فالأقوات للأرض لا للسكان، والمعنى أن الله عزَّ وجلَّ قدر لكل أرض حظَّها من المطر. وقيل المراد من إضافة القُوت إلى الأرض كونها متولدة في تلك الأرض وحادثة فيها؛ لأن النحاة قالوا في حسن الإضافة أدنى سبب فالشيء قد يضاف إلى فاعله تارة، وإلى محله أخرى، فقوله { وقدر فيها أقواتها } أي قدر الأقوات التي يختص حدوثها بها، وذلك لأنه تعالى جعل كل بلدة معدناً لنوع آخر من الأشياء المطلوبة بمعنى أن أهل هذه البلدة يحتاجون إلى الأشياء المتولدة في ذلك البلد وبالعكس فصار هذا المعنى سبباً لرغبة الناس في التجارات واكتساب الأموال. قوله: { فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّام } تقديره: في تَمَام أَرْبَعَةِ أيام باليَوْمَيْنِ المتقدمين. قال الزجاج: في تتمَّة أربعة أيام، يريد بالتتمة اليومين. وقال الزمخشري: في أربعة أيام فلذلك المدة خلق الله الأرض وما فيها كأنه قال: كل ذلك في أربعة أيام كاملة مستويةً بلا زيادة ولا نُقصانِ. قال شهاب الدين: وهذا كقولك: بَنَيْتُ بيتي في يوم وأكملته في يومين أي بالأول. وقال أبو البقاء: أي في تمام أربعة أيام، ولولا هذا التقدير لكانت الأيام ثمانية يومان في الأول، وهو قوله: { خَلَقَ ٱلأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ } ويومانِ في الآخر وهو قوله { فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ } وأربعةٌ في الوَسَطِ وهو قوله "فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّام" . فإن قيل: إنه تعالى لما ذكر خلق الأرض في يومين، فلو ذكر أنه خلق هذه الأنواع الثلاثة الباقية في يومين آخرين كان أبعدَ عن الشُّبهة وعن الغلط فَلِمَ تَرَك التصريح وذكر الكلام المجمل؟ . فالجواب: أن قوله "في أربعة أيام سواء" فيه فائدة زائدة على ما إذا قال: خلقت هذه الثلاثة في يومين؛ لأنه لو قال: خلقت هذه الأشياء في يومين لم يُفِدْ هذا الكلام كون اليومين مُستغرقين بتلك الأعمال؛ لأنه قد يقال: عملتُ هذا العمل في يومين مع أن اليومين ما كانا مستغرقين بذلك العمل، أمَّا لما ذكر خلق الأرض، وخلق هذه الأشياء ثم قال: في أربعة أيام سواء دلَّ على أن هذه الأيام الأربعة صارت مستغرقةً في تلك الأعمال من غير زيادة ولا نُقصانِ)) .... ((قوله (تعالى): { ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ } أي عمد إلى خلق السماء. وقال ابن الخطيب: من قولهم: استوى إلى مكان كذا إذا توجَّه إليه توجُّهاً لا يلتفتُ معه إلى عمل آخر وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج. ونظيره قولهم: استقام إليه وامتدَّ إليه، قال تعالى: {

فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ } [فصلت:٦] والمعنى: ثم دعاه داعي الحكمة إلى خلق السموات بعد خلق الأرض ما فيها من صارفٍ يصرفُهُ عن ذلك. والدُّخان: هو ما ارتفع عن لهبِ النار. ويستعار لما يرى من بُخار الأرض عند جدبها وقياس جمعه في القلة أَدْخِنَةٌ وفي الكثرة دُخْيَان، نحو: غُرابٍ وأغربة وغِرْبَانٍ وشذوا في جمعه على: دَوَاخِنِ، قيل: هو جمع داخِنةٍ تقديراً على سبيل الإسناد المجازيّ، ومثله عثانٌ وعواثِن. وقوله: و "هِيَ دُخَان" من باب التشبيه الصُّوري؛ لأن صورتها صورة الدُّخانِ في رأي العين. فصل قال المفسرون: هذا الدخان بُخار الماء وذلك أن عرش الرحمن كان على الماء قبل خلق السموات والأرض، كما قال تعالى : "وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَآءِ" (هود : ٧) . ثم إن الله تعالى أحدث في ذلك الماء اضطراباً فأزْبَدَ وارتفع، وخرج منه دُخانٌ فأما الزَّبدُ فبقي على وجه الماء فخلق منه اليبوسة وأحدثَ منه الأرض، وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السَّموات)) . (اللباب في علوم الكتاب ، ابن عادل) .

وقال ابن عادل : ((فصل ظاهر هذا الكلام يقتضي أن الله تعالى أمر السماء والأرض بالإيمان فأطاعُوهُ وهذا ليس بمستبعد كما أن الله تعالى أنطقَ الجبالَ مع داود ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقال : "يٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَٱلطَّيْرَ" (سبأ: ١٠) وأنطق الأيدي والأرجل، فقال } :يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ" (النور:٢٤) وقوله : "وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوۤاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ" (فصلت:٢١) وإذا كان كذلك فكيف يستبعدُ أن يخلقَ الله تعالى في ذات السموات والأرض حياةً وعقلاً ثم يوجه التكليف عليهما؟ ويؤكد هذا وجوه: الأول: أن الأصل حمل اللفظ على ظاهره، إلا إن منع منه مانع، فههنا لا مانع. الثاني: أنه تعالى جمعهما جمع العقلاء فقال: " قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ " . الثالث: قوله : " إِنَّا عَرَضْنَا ٱلأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا " (الأحزاب :٧٢) وهذا يدل على كونها عارفة بالله، عالمة بتوجه تكليف الله تعالى. وأجاب ابن الخطيب عن هذا القول: بأن المراد من قوله { ٱئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً } الإثبات الى الوجود والحدوث والحصول، فعلى هذا التقدير فحال توجه هذا الأمر كانت السموات والأرض معدومة، إذ لو كانت موجودةً فذلك لا يجوز، فثبت أن حال توجه هذا الأمر عليها كانت معدومة، وإذا كانت معدومة لم تكن فاهمة، ولا عارفة للخطاب، فلم يَجُزْ توجُّه الأمر عليها))

.....((قوله تعالى: { فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ } في نصب "سَبْعَ" أربعة أوجه: أحدها: أنه مفعول ثانٍ "لقَضَاهُنَّ"؛ لأنه ضمّن معنى صيَّرهُنَّ

بقضائه سبع سموات. الثاني: أنه منصوب على الحال من مفعول "فقضاهن" أي قضاهن معدودةً، وقضى بمعنى "صَنَعَ" كقول أبي ذؤيب: 4355 ـ وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا دَاوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوابِغِ تُبَّعُ أي صنعها. الثالث: أنه تمييز؛ قال الزمخشري: ويجوز أن يكون ضميراً مبهماً مفسَّراً بسبع سمواتٍ على التمييز يعني بقوله "مبهماً"، أنه لا يعود على السماء، لا من حيث اللفظ، ولا من حيث المعنى بخلاف كونه حالاً أو مفعولاً ثانياً. الرابع: أنه بدل من "هُنَّ" في "فَقَضَاهُنَّ" قاله مكي، وقال أيضاً: السماء، تذكَّر وتؤَنَّثُ، وعلى التأنيث جاء القرآن، ولو جاء على التذكير لقيل: سَبْعَةَ سمواتٍ. وقد تقدم تحقيق تذكيره وتأنيثه في أوائل البقرة. فصل قال أهل الأثر: إن الله تعالى خلق الأرض يوم الأحد والإثنين، وخلق سائر ما في الأرض يوم الثلاثاء والأربعاء وخلق السموات وما فيها في يوم الخميس والجمعة، وفرغ في آخر ساعةٍ من يوم الجُمُعةِ فخلق بها آدم، وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة. فإن: قيل: اليوم عبارة عن النهار والليل، وذلك إنما يحصل بطُلُوع الشَّمس وغروبها، وقبل حدوث السموات والشمس والقمر كيف يعقل حصوم اليوم؟. فالجواب: معناه أنه مضى من المدة ما لو حصل هناك فلكٌ وشمس لكان المقدار مُقدَّراً بيوم. وقضاء الشيء إتمامه والفراغ منه. قوله: { وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا } . قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من البحار، وجبال البرد، وما لا يعلمه إلا الله تعالى، وقال قتادة والسُّدِّيُّ: يعني خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها. وقال مقاتل: وأوحى إلى كل سماء ما أراد من الأمر والنهي، وذلك يوم الخميس والجمعة، قال السدي: ولله في كل سماء بيت يُحَجُّ إليه ويطوف به الملائكة، كل واحد منها مقابل للكعبة بحيث لو وقعت منه حصاةٌ لوقعت على الكعبة)) . (اللباب في علوم الكتاب ، ابن عادل) .

١٦ ـ قال مقاتل : (("قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ" بالتوحيد، و{ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ }، يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، ثم قال: { وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً }، يعني شريكاً، { ذَٰلِكَ } الذي خلق الأرض في يومين هو { رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ } [آية: ٩]، يعني الناس أجمعين. ثم قال: { وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا }، يعني جعل الجبل من فوق الأرض أوتاداً للأرض؛ لئلا تزول بمن عليها، { وَبَارَكَ فِيهَا }، يعني في الأرض، والبركة الزرع والثمار والنبت وغيره، ثم قال: { وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا فِيۤ أَرْبَعَةِ أَيَّام }، يقول: وقسم في الأرض أرزاق العباد والبهائم، { سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ } [آية: ١٠]،

يعني عدلاً لمن يسأل الرزق من السائلين. }ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ }، قبل ذلك، { فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعاً } عبادتي ومعرفتي، يعني أعطيا الطاعة طيعاً، { أَوْ كَرْهاً }، وذلك أن الله تعالى حين خلقهما عرض عليهما الطاعة بالشهوات واللذات، على الثواب والعقاب، فأبين أن يحملنها من المخافة، فقال لهما الرب: ائتيا المعرفة لربكما والذكر له، على غير ثواب ولا عقاب، طوعاً أو كرهاً، { قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ } [آية: ١١]، يعني أعطيناه طائعين" . "فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ" ، يقول: فخلق السموات السبع، { فِي يَوْمَيْنِ }، الأحد والاثنين)) . (تفسير مقاتل بن سليمان) .

١٧ ـ قال البقاعي : (("بالذي خلق الأرض" أي على سعتها وعظمتها من العدم { في يومين } فتنكرون قدرته على إعادة ما خلقه منها ابتداء مع اعترافكم بأنه ابتدأ خلقها وخلق ذلك منها، وهذان اليومان الأحد والاثنين ـ نقل هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وعبد الله بن سلام رضي الله عنه ـ قال ابن الجوزي: والأكثرين، وحديث مسلم الذي تقدم في سورة البقرة" خلق الله التربة يوم السبت "يخالف هذا، فإن البداءة فيه بيوم السبت وهو مصرح بأن خلق الأرض وما فيها في ستة أيام كما هو ظاهر هذه الآية، ويجاب بأن المراد بالخلق فيه إخراج أقواتها بالفعل، والمراد هنا تهيئتها لقبول ذلك، ويشكل أيضاً بأن الأيام إنما كانت بدوران الأفلاك، وإنما كان ذلك بعد تمام الخلق بالفعل، فالظاهر أن المراد باليوم ما قال الحرالي: مقدار ما يتم فيه أمر ظاهر أو مقدار يومين تعرفونها من أيام الدنيا)) ...... (({ وجعل } ولا يجوز عطفه على صلة الموصول للفصل بأجنبي { فيها رواسي } هي أشدها وهي الجبال، ونبه على أنها مخالفة للرواسي في كونها تحت ما يراد إرساؤه فقال: { من فوقها } فمنعتها من الميد، فعل ذلك لكونه أدل على القدرة، فإنها لو كانت من تحت لظن أنها، أساطين حاملة، ولتظهر منافع الجبال بها أنفسها وبما فيها، ويشاهد أنها أثقال مفتقرة إلى حامل. ولما هيأها لما يراد منها، ذكر ما أودعها فقال: { وبارك فيها } أي جعلها قابلة ميسرة صالحة بالأقوات والنافع من الذوات والمعاني المعينة على محاسن الأعمال الميسرة للسير إليه والإقبال عليه، ودالة على جميع صفاته الحسنى وأسمائه العلى وغير ذلك من المعارف والقدر والقوى { وقدر فيها أقواتها } أي جعلها مع البركة على مقدار لا تتعداه، ومنهاج بديع دبره في الأزل وارتضاه، وقدره فأمضاه، ومن ذلك أنه خص بعض البلاد بشيء لا يوجد في غيرها لتنظيم عمارة الأرض كلها باحتياج بعضهم إلى

بعض، فكان جميع ما تقدم من إيداعها وإيداعها ما ذكر من متاعها، دفعة واحدة لا ينقص عن حاجة المحتاجين أصلاً، وإنما ينقص توصلهم أو توصل بعضهم إليه فلا يجد له حينئذ ما يكفيه، وفي الأرض أضعاف كفايته، ثم ذكر فذلكة خلق الأرض وما فيها فقال: { في أربعة أيام } وهذا العدد عن ضم اليومين الماضيين إلى يومي الأقوات وهما الثلاثاء والأربعاء، أو يكون المعنى في تتمته أربعة أيام، ولا يحمل على الظاهر ليكون ستة لأنه سيأتي للسماوات يومان فكانت تكون ثمانية، فتعارض آية { الم السجدة } { الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام } وفصل مقدار ما خلقها فيه ومقدار ما خص الأقوات والمنافع لإحاطة العلم بأنه يخص كل أمر من الأمرين يومان، ونص على الأولين ليكون ذلك أدل على القدرة فيحسن موقع النعي عليهم بما فصل به الآيتين من اتخاذ الأنداد، وإنما كان أدل على القدرة، لأنه إيجاد ذوات محسوسة من العدم قائمة بأنفسها بخلاف البركة، وتقدير الأقوات فإنه أمر لا يقوم بنفسه، فلم يفرد يوميه بالذكر، بل جعلهما تابعين كما أن ما قدر فيهما تابع، ولم يفعل ذلك في أقل من لمح البصر مع تمام القدرة عليه، لأن هذا أدل على الاختيار وأدخل في الابتلاء والاختيار، ليضل به كثيراً ويهدي به كثيراً، فيكون أعظم لأجورهم لأنه أدل على تسليمهم، وجعل مدة خلقها ضعف مدة السماء مع كونها أصغر من السماء دلالة على أنها هي المقصودة بالذات لما فيها من الثقلين، فزادت بما فيها من كثرة المنافع وتباين أصناف الأعراض والجواهر لأن ذلك أدخل في المنة على سكانها، والاعتناء بشأنهم وشأنها، وزادت أيضاً بما فيها من الابتلاء بالتهيئة للمعاصي والمجاهدات والمعالجات التي يتنافس فيها الملأ الأعلى ويتخاصم - كل ذلك دلالة على أن المدة ما هي لأجل القدرة بل لأجل التنبيه على ما في المقدر من المقدور وعجائب الأمور، وليعلم أيضاً بخلق السماء التي هي أكبر جرماً وأتقن جسماً وأعظم زينة وأكثر منافع بما لا يقايس في أقل من مدة خلق الأرض أن خلقها في تلك المدة ليس للعجز عن إيجادها في أقل من اللمح، بل لحكم تعجز عن حملها العقول، ولعل تخصيص السماء بقصر المدة دون العكس لإجراء أمرها على ما نتعارفه من أن بناء السقف أخف من بناء البيت تنبيهاً على أنه بنى أمر دارنا هذه على الأسباب تعليماً للتأني وتدريباً على السكينة والبعد من العجلة. ولما كان لفظ { سواء } الذي هو بمعنى العدل الذي لا يزيد عن النصف ولا ينقص يطلب اثنين، تقول: سواء زيد وعمرو { إلى كلمة سواء بيننا وبينكم } قال تعالى مزيلاً لما أوهمه قوله: { أربعة أيام

} من أنها للأقوات والبركة ليكون مع يومين من الأرض ستة، ناصباً على المصدر: { سواء } أي التوزيع إلى يومين ويومين على السواء { للسائلين * } أي لمن سأل أو كان بحيث يسأل ويشتد بحثه بسؤال أو نظر عن التوفيق بين ظاهر هذه الآية وبين غيرها، لا بد في كل يوم منها من زيادة عن الذي قبله أو نقص، ومجموع الأربعة كأربعة من أيام الدنيا لا تزيد عليها ولا تنقص، وقراءة يعقوب بجر "سواء" معينة لأن تكون نعتاً لـ "أربعة" وقراءة أبي جعفر بالرفع خبر لمبتدأ محذوف، وعن خلقها وتتميمها في أربعة أيام كانت فصولها أربعة، قال ابن برجان: ألا ترى الأمر إلى السماء أولاً في إنزال الماء فيخلقه فيما هنالك ثم ينزله إلى الأرض والنبات والحيوان عن الماء الذي ينزل من السماء إلى الأرض بمنزلة النسل بين الذكر والأنثى وبمنزلة تسخير السماء والأرض وما بينهما لما وجدنا له فافهم - أمر قويم وحكمة شائعة آية ذلك قضاؤه بركات الأرض في أربعة أيام بواسطة ما قدر في السماء من أمر وهي الأربعة الفصول من السنة. الشتاء الربيع الصيف والخريف، فهذه الأيام معلومة بالمشاهدة، فيهن يتم زرع الأرض وبركات الدنيا وجميع ما يخرجه منها من فوائد وعجائب، قال: وقوله "للسائلين" تعجيب وإغراب وتعظيم للمراد المعنى بالخطاب، وقد يكون معنى السواء زائداً إلى ما تقدم أن بهذه الأربعة الأيام استوت السنة مطالعها ومغاربها وقربها وبعدها وارتفاعها ونزولها في شمالي بروجها وجنوبيها باحكام ذلك كله وتوابعه - انتهى. ولما كانت السماوات أعظم من الأرض في ذاتها بنور أبنيتها واتساعها وزينتها ودوران أفلاكها وارتفاعها، نبه على ذلك بالتعبير بأداة التراخي، ولفظ الاستواء وحرف الغاية الدال على عظيم العناية فقال: { ثم استوى } أي قصد قصداً هو القصد منتهياً قصده { إلى السماء وهي } أي والحال أنها { دخان } بعد ما فتقها من الأرض، قالوا: كان ذلك الدخان بخار الماء فهو مستعار من المرتفع من النار، وهو تشبيه صوري، فالسماء متقدمة في الدخانية على الأرض، تقدم الذكر على الأنثى ثم خلقت ذات الأرض وبعد تصوير السماء وتتميمها دحيت أنثى الأرض وسويت لذكر السماء، قال ابن برجان: فالذي يعتقد أن السماء أولاً إيجاداً وتتميماً والأرض بعدها إيجاداً ورتبة، وأيام الخلق يومان لإيجاد الأرض ويومان لتسوية السماء بعد أن كانت دخاناً، ويومان لتتميم المنافع فتداخلت الأعداد لتداخل الأفعال، { فقال لها } أي عقب هذا الاستواء { وللأرض } بعد خلقها وقبل دحوها: { ائتيا } أي تعاليا وأقبلا مواتيتين مقارنتين لما قدرته فيكما وأردته منكما من إخراج

المنافع من المياه والنبات والمعادن وغيرها، ووضع المصدر موضع الحال مبالغة فقال: { طوعاً أو كرهاً } أي طائعتين أو كارهتين في إخراج ما أودعتكما من الأمانة في أوقاتها وعلى ما ينبغي من مقاديرها وهيآتها طوع تسخير لا تكليف { قالتا أتينا } أي نحن وما فينا ما بيننا. ولما جعلهما موضع المخاطبة للتي هي للعقلاء والتكلم، قال جامعاً لهما باعتبار أفرادهما وما فيهما جمع من يعقل: { طائعين * } أي في كل ما رسمته فينا لا نحمل من ذلك شيئاً بل نبذله على ما أمرت به لا نغير ولا نبدل، وذلك هو بذلهما للأمانة، وعدم حملها، وجمع الأمر لهما في الإخبار لا يدل على جمعه في الزمان، بل قد يكون القول لهما متعاقباً { فقضاهن } أي خلقهن وصنعهن حال كونهن معدودات { سبع سماوات } صنعاً نافذاً هو كالقضاء لا تخلف فيه { في يومين } أي الخميس والجمعة إذا حسب مقدار ما يخصهن من التكوين في الستة الأيام التي كان فيها جميع الخافقين، وما بينهما كان بمقدار ما خص واحداً من الأرض ومن أقواتها لا يزيد على مدة منهما ولا ينقص، فيكون الذي خصهما ثلث المجموع، قال ابن جرير: وإنما سمي يوم الجمعة لأن الله تعالى جمع فيه خلق السماوات والأرض. يعني فرغ من ذلك وأتمه { وأوحى } أي ألقى بطريق خفي وحكم مبتوت قوي { في كل سماء أمرها } أي الأمر الذي دبرها ودبر منافعها به على نظام محكم لا يختل، وزمام مبرم لا ينحل)) . (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي) .

التعقيب :

أ ـ قال البقاعي : ((ولما كان لفظ { سواء } الذي هو بمعنى العدل الذي لا يزيد عن النصف ولا ينقص يطلب اثنين، تقول: سواء زيد وعمرو { إلى كلمة سواء بيننا وبينكم } قال تعالى مزيلاً لما أوهمه قوله: { أربعة أيام } من أنها للأقوات والبركة ليكون مع يومين من الأرض ستة، ناصباً على المصدر: { سواء } أي التوزيع إلى يومين ويومين على السواء)) . (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي) .

قلتُ : هذا تأويل بعيد ، وهل كلمة سواء لا تصلح إلا للمثنى ومضاعفاته ؟!

ألا يصح لو قلنا : جلسنا في مكة ثلاثة أيام سواء ؟

ولو سلمنا جدلاً أنها لا تصلح إلا للمثنى ومضاعفاته ، فلماذا لا تصلح للأربعة ؟ كيف جعلها البقاعي تشير إلى ستة ؟!

ب ـ قال البقاعي : ((، وعن خلقها وتتميمها في أربعة أيام كانت فصولها أربعة، قال ابن برجان: ألا ترى الأمر إلى السماء أولاً في إنزال الماء فيخلقه فيما هنالك ثم ينزله إلى الأرض والنبات والحيوان عن الماء الذي ينزل من السماء إلى الأرض بمنزلة النسل بين الذكر والأنثى وبمنزلة تسخير السماء والأرض وما بينهما لما وجدنا له فافهم - أمر قويم وحكمة شائعة آية ذلك قضاؤه بركات الأرض في أربعة أيام بواسطة ما قدر في السماء من أمر وهي الأربعة الفصول من السنة. الشتاء الربيع الصيف والخريف، فهذه الأيام معلومة بالمشاهدة، فيهن يتم زرع الأرض وبركات الدنيا وجميع ما يخرجه منها من فوائد وعجائب)) . (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي) .

قلتُ : لقد فسر البعض الأربعة أيام بالأربعة فصول ، وهذا تأويل بعيد .

ج ـ قال البقاعي : (({ إلى السماء وهي } أي والحال أنها { دخان } بعد ما فتقها من الأرض، قالوا: كان ذلك الدخان بخار الماء فهو مستعار من المرتفع من النار)) . (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي) .

قلت : لا يصح اللجوء إلى القول بالاستعارة أو المجاز بدون ضوابط أو شروط .

فالفتق أو الانفجار يتولد منه دخان ، فلماذا نقول أنه ليس دخاناً ؟!

د -كلمة "الفذلكة" ، ليست من فصيح اللّغة القديم ، فهي كلمة محدَثة أو مولَّدة ، ومعناها : المجموع والحاصل .

وهي مشتقة من عبارة "فَذَلِكَ كذا وكذا" التي كان يستعملها الحُسّاب والعلماء قديماً عند ختم الحساب وإجمال أرقامه ، أي: فهذا هو الحاصل أو النتيجة النهائية .

١٨ ـ قال أبو السعود : (("فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ" متعلقٌ بحصول الأمورِ المذكورة، لا بتقديرها أي قدرَ حصولَها في يومين وإنما قيلَ في أربعة أيام أي تتمةِ أربعةٍ تصريحاً بالفذلكةِ)) . (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود) .

١٩ ـ قال السمين الحلبي : ((قوله: { فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ } تقديرُه: في تمام أربعةِ أيام باليومَيْن المتقدِّمين. وقال الزجاج: "في تتمةِ أربعةِ أيام" يريدُ بالتتمَّةِ اليومين. وقال الزمخشري: "في أربعة أيام فَذْلَكَةٌ لمدةِ خَلْقِ اللهِ الأرضَ وما فيها، كأنه قال: كلُّ ذلك في أربعةِ أيام كاملةٍ مستويةٍ بلا زيادةٍ ولا نقصان". قلت: وهذا كقولِك: بَنَيْتُ بيتي في يوم، وأكْمَلْتُه في يومَيْن. أي: بالأول. وقال أبو البقاء: "أي: في تمام أربعةِ أيام، ولولا هذا التقديرُ لكانَتِ الأيامُ ثمانيةً، يومان في الأول، وهو قوله: { خَلَقَ ٱلأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ }، ويومان في الآخِر، وهو قوله: {

فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ } وأربعة في الوسط، وهو قولُه "فِيَ أَرْبَعَةِ أَيَّام ")) . (الدر المصون ، السمين الحلبي) .

٢٠ ـ قال السمعاني : ((وَقَوله :(فِي أَرْبَعَة أَيَّام) أَي: (فِي تَمام أَرْبَعَة أَيَّام) . فَإِن قَالَ قَائِل: قد قَالَ هَاهُنَا خلق الأَرْض فِي يَوْمَيْنِ فَذكر أَنه بَدَأَ بِخلق الأَرْض وَقَالَ فِي مَوضِع آخر :(وَالْأَرْض بعد ذَلِك دحاها) فَكيف وَجه الْجمع بَين الْآيَتَيْنِ؟ وَالْجَوَاب: أَن معنى قَوْله :(وَالْأَرْض بعد ذَلِك دحاها) أَي: مَعَ ذَلِك، وَهَذَا ضَعِيف فِي اللُّغَة، وَالأَصَح أَن معنى قَوْله: (وَالْأَرْض بعد ذَلِك دحاها) أَي: بسطها، وَكَانَ الله تَعَالَى خلق الأَرْض قبل السَّمَوَات فِي يَوْمَيْنِ، وَخلق الأرزاق والأقوات فِيهَا، وأجرى الْأَنْهَار، وَأظْهر الْأَشْجَار، وَخلق الْبحار فِي يَوْمَيْنِ آخَرين، فَذَلِك تَمام أَرْبَعَة أَيَّام، وَلم يكن بسط الأَرْض وَجعلهَا بِحَيْثُ يسكن فِيهَا، فَلَمَّا خلق السَّمَوَات بسط الأَرْض وَجعلهَا بِحَيْثُ يسكنهَا النَّاس. وَقَوله :(سَوَاء للسائلين) أَي: عدلا للسائلين، وَمَعْنَاهُ: من سَأَلَك عَن هَذَا فأجبه بِهَذَا، فَإِنَّهُ الْحق وَالْعدْل. قَوْله تَعَالَى :(ثمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِي دُخان) أَي: قصد إِلَى خلق السَّمَاء وَهِي دُخان، وَفِي الْقِصَّة ان الله تَعَالَى خلق أول مَا خلق مَاء يضطرب، فأزبد المَاء زبدا، وارتفع من الزّبد دُخان، فخلق الأَرْض من الزّبد، وَخلق السَّمَاء من الدُّخان)) . (تفسير السمعاني) .

وقال السمعاني : ((وَقَوله :(فِي أَرْبَعَة أَيَّام) أَي: فِي تَمام أَرْبَعَة أَيَّام، فَإِن قيل: قد ذكر يَوْمَيْنِ فِي الْآيَة الأولى، وَأَرْبَعَة فِي هَذِه الْآيَة، ويومين من بعد، فَيكون قد خلق الله السَّمَوَات وَالْأَرْض فِي ثَمَانِيَة أَيَّام؟ قُلْنَا: لَا، بل خلقهَا فِي سِتَّة أَيَّام . وَقَوله :(فِي أَرْبَعَة أَيَّام) أَي: فِي تَمام أَرْبَعَة أَيَّام مَعَ الْيَوْمَيْنِ الْأَوَّلين، وَهَذَا كَالرّجلِ يَقُول: ذهبت من الْبَصْرَة إِلَى بَغْدَاد فِي عشرَة أَيَّام، وَذَهَبت من بَغْدَاد إِلَى الْكُوفَة فِي خَمْسَة عشر يَوْمًا أَي: فِي تَمام خَمْسَة عشر يَوْمًا مَعَ الْعدْل الأول، هَذَا كَلَام الْعَرَب، وَمن طعن فِيهِ فَلم يعرف كَلَام الْعَرَب)) . (تفسير السمعاني) .

٢١ ـ قال الثعالبي : ((وقوله تعالى : فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ يريد: باليومين الأولين)) . (تفسير الثعالبي) .

٢٢ ـ قال الثعلبي : ((فِي أَرْبَعَةِ أَيَّام يعني إنّ هذا مع الأول أربعة أيّام، كما يقول: تزوجت أمس امرأة واليوم اثنتين وأحدهما الّتي تزوجتها أمس، ويقال: أتيت واسط في خمسة والبصرة في عشرة، فالخمسة من جملة العشرة. فرد الله سبحانه الآخر على الأوّل، وأجمله في الذكر)) . (تفسير الثعلبي) .

٢٣ ـ قال الشوكاني : ((قِيلَ: الْيَوْمانِ هُما يَوْمُ الأَحَدِ ويَوْمُ الِاثْنَيْنِ،

وقِيلَ: المُرادُ مِقْدارُ يَوْمَيْنِ لِأنَّ اليَوْمَ الحَقِيقِيَّ إنَّما يَتَحَقَّقُ بَعْدَ وُجُودِ الأرْضِ والسَّماءِ.)) . (فتح القدير للشوكاني) .

وقال الشوكاني : ((ومَعْنى ﴿فِي أرْبَعَةِ أيّامٍ﴾ أيْ: في تَتِمَّةِ أرْبَعَةِ أيّامٍ بِاليَوْمَيْنِ المُتَقَدِّمَيْنِ. قالَهُ الزَّجّاجُ وغَيْرُهُ. قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: ومِثالُهُ قَوْلُ القائِلِ خَرَجْتُ مِنَ البَصْرَةِ إلى بَغْدادَ في عَشْرَةِ أيّامٍ وإلى الكُوفَةِ في خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا أيْ: في تَتِمَّةِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، فَيَكُونُ المَعْنى أنَّ حُصُولَ جَمِيعِ ما تَقَدَّمَ مِن خَلْقِ الأرْضِ وما بَعْدَها في أرْبَعَةِ أيّامٍ)) . (فتح القدير للشوكاني) .

وقال الشوكاني : ((وأخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ والنَّحّاسُ في ناسِخِهِ، وأبُو الشَّيْخِ في العَظَمَةِ والحاكِمُ وصَحَّحَهُ، وابْنُ مَرْدَوَيْهِ، والبَيْهَقِيُّ في الأسْماءِ والصِّفاتِ عَنْهُ »أنَّ اليَهُودَ أتَتِ النَّبِيَّ - صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ - فَسَألَتْهُ عَنْ خَلْقِ السَّماواتِ والأرْضِ فَقالَ: خَلَقَ اللَّهُ الأرْضَ في يَوْمِ الأحَدِ والِاثْنَيْنِ، وخَلَقَ الجِبالَ وما فِيهِنَّ مِن مَنافِعَ يَوْمَ الثُّلاثاءِ، وخَلَقَ يَوْمَ الأرْبعاءِ الشَّجَرَ والحَجَرَ والماءَ والمَدائِنَ والعُمْرانَ والخَرابَ فَهَذِهِ أرْبَعَةُ أيّامٍ، فَقالَ - تَعالى -: ﴿قُلْ أئِنَّكم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأرْضَ في يَوْمَيْنِ وتَجْعَلُونَ لَهُ أنْدادًا ذَلِكَ رَبُّ العالَمِينَ﴾ ﴿وجَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِن فَوْقِها وبارَكَ فِيها وقَدَّرَ فِيها أقْواتَها في أرْبَعَةِ أيّامٍ سَواءً لِلسّائِلِينَ﴾ وخَلَقَ يَوْمَ الخَمِيسِ السَّماءَ وخَلَقَ يَوْمَ الجُمُعَةِ النُّجُومَ والشَّمْسَ والقَمَرَ والمَلائِكَةَ إلى ثَلاثِ ساعاتٍ بَقِينَ مِنهُ، فَخَلَقَ مِن أوَّلِ ساعَةٍ مِن هَذِهِ الثَّلاثِ الآجالَ حِينَ يَمُوتُ مَن ماتَ، وفي الثّانِيَةِ ألْقى فِيها مِن كُلِّ شَيْءٍ مِمّا يُنْتَفَعُ بِهِ، وفي الثّالِثَةِ خَلَقَ آدَمَ وأسْكَنَهُ الجَنَّةَ وأمَرَ إبْلِيسَ بِالسُّجُودِ لَهُ وأخْرَجَهُ مِنها في آخِرِ ساعَةٍ، قالَتِ اليَهُودُ: ثُمَّ ماذا يا مُحَمَّدُ ؟ قالَ: ثُمَّ اسْتَوى عَلى العَرْشِ، قالُوا: قَدْ أصَبْتَ لَوْ أتْمَمْتَ، قالُوا: ثُمَّ اسْتَراحَ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ - صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ - غَضَبًا شَدِيدًا، فَنَزَلَ ﴿ولَقَدْ خَلَقْنا السَّماواتِ والأرْضَ وما بَيْنَهُما في سِتَّةِ أيّامٍ وما مَسَّنا مِن لُغُوبٍ﴾ ﴿فاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ﴾ ق: ٣٩، ٣٨)) . (فتح القدير للشوكاني)

.

٢٤ ـ قال صديق حسن خان : (((في) تتمة (أربعة أيام) أي في يوم الثلاثاء والأربعاء باليومين المتقدمين، قاله الزجاج وغيره، قال

ابن الأنباري: ومثاله قول القائل: خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام وإلى الكوفة في خمسة عشر يوماً، أي في تتمة خمسة عشر يوماً، فيكون المعنى: إن حصول جميع ما تقدم من خلق الأرض وما بعدها في أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان ولولا هذا التقدير لكانت الأيام ثمانية يومان في الأول وهو قوله (خلق الأرض في يومين) ويومان في الأخير وهو قوله الآتي: (فقضاهن سبع سموات في يومين) وأربعة في الوسط. وقال أبو البقاء: ولعل زيادة مدة الأرض على مدة السماء جرياً على ما يتعارف من أن بناء السقف أخف من بناء البيت، وقيل: للتنبيه على أن الأرض هي المقصودة بالذات لما فيها من الثقلين وكثرة المنافع، وقيل: لما فيها من الابتلاء بالمعاصي، والمجاهدات والمجادلات والمعالجات. عن ابن عباس أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم، فسألته عن خلق السموات والأرض، فقال " خلق الله الأرض في يومين الأحد والاثنين، وخلق الجبال وما فيهن من منافع يوم الثلاثاء وخلق يوم الأربعاء الشجر والحجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه أربعة أيام فقال تعالى: قل أئنكم لتكفرون إلى قوله للسائلين، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم، والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقين منه، فخلق من أول ساعة من هذه الثلاث الآجال حين يموت من مات، وفي الثانية ألقى فيها من كل شي مما ينتفع به، وفي الثالثة خلق آدم وأسكنه الجنة، وأمر إبليس بالسجود له، وأخرجه منها في آخر ساعة قالت اليهود ثم ماذا يا محمد؟ قال: ثم استوى على العرش، قالوا قد أصبت لو أتممت. قالوا ثم استراح، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم، غضباً شديداً فنزل: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ (٣٨) فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ) أخرجه ابن جرير والنحاس في ناسخه وأبو الشيخ في العظمة والحاكم وصححه، وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات. ولكن في حديث مسلم عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم، بيدي فقال: " خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق

المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء وخلق الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة في آخر الخلق فيما بين العصر إلى الليل ". وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس أيضاً قال: " إن الله خلق يوماً فسماه الأحد ثم خلق ثانياً فسماه الاثنين، ثم خلق ثالثاً فسماه الثلاثاء، ثم خلق رابعاً فسماه الأربعاء ثم خلق خامساً فسماه الخميس، وذكر نحو ما تقدم ". وأخرج أبو الشيخ عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " إن الله فرغ من خلقه في ستة أيام " وذكر نحو ما تقدم)) . (فتح البيان للقنوجي ـــ صديق حسن خان) .

٢٥ ـ قال ابن كثير : ((وَقَوْلُهُ (خَلَقَ الأرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) فَخُلِقت الْأَرْضُ وَمَا فِيهَا مِنْ شَيْءٍ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، وَخُلِقَتِ السَّمَاوَاتُ فِي يَوْمَيْنِ)) . (تفسير ابن كثير) .

وقال ابن كثير : ((فَقَوْلُهُ :(خَلَقَ الأرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) يَعْنِي: يَوْمَ الْأَحَدِ وَيَوْمَ الِاثْنَيْنِ. (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا) أَيْ: جَعَلَهَا مُبَارَكَةً قَابِلَةً لِلْخَيْرِ وَالْبَذْرِ وَالْغِرَاسِ، (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَها) ، وَهُوَ: مَا يَحْتَاجُ أَهْلُهَا إِلَيْهِ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَالْأَمَاكِنِ الَّتِي تُزْرَعُ وَتُغْرَسُ، يَعْنِي: يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ وَالْأَرْبِعَاءِ، فَهُمَا مَعَ الْيَوْمَيْنِ السَّابِقَيْنِ أَرْبَعَةٌ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : (فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ) أَيْ: لِمَنْ أَرَادَ السُّؤَالَ عَنْ ذَلِكَ لِيَعْلَمَهُ.)) . (تفسير ابن كثير) .

٢٦ ـ قال الصابوني : ((هذا إنكار من الله تعالى على المشركين الذين عبدوا معه غيره، وهو الخالق لكل شيء، المقتدر على كل شيء { قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً } أي نظراء وأمثالاً تعبدونها معه، { ذَلِكَ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ } أي الخالق للأشياء هو رب العالمين كلهم، وهذا المكان فيه تفصيل لقوله تعالى : "خَلَقَ ٱلسَمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّام" (الأعراف: ٥٤) ففصل هٰهنا ما يختص بالأرض مما اختص بالسماء، فذكر أنه خلق الأرض أولاً لأنها كالأساس، والأصل أن يبدأ بالأساس، ثم بعده بالسقف، كما قال عزّ وجلّ : "هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي ٱلأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ " (البقرة: ٢٩) الآية، فأما قوله تعالى : أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَاهَا " (النازعات: ٢٧) إلى قوله : وَٱلأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا" (النازعات: ٣٠-٣١) ، ففي هذه الآية أن دحو

الأرض كان بعد خلق السماء، فالدحو مفسر بقوله : "أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا" (النازعات: ٣١) وكان هذا بعد خلق السماء، فأما خلق الأرض فقبل خلق السماء بالنص، وبهذا أجاب ابن عباس فيما ذكره البخاري عن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: إني لأجد في القرآن أشياء تختلف عليّ، قال : "فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَآءَلُونَ " (المؤمنون: ١٠١) ، " وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ " (الصافات: ٢٧، الطور: ٢٥) ، " وَلاَ يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثاً " (النساء: ٤٢) ، " وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ" (الأنعام: ٢٣) فقد كتموا في هذه الآية، وقال تعالى :" أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَاهَا " (النازعات: ٢٧) - إلى قوله - "وَٱلأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا" (النازعات: ٣٠) فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ثم قال: تعالى: { قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ } - إلى قوله - { طَآئِعِينَ } فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء، قال: "وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً" (النساء: ٩٦) ، " عَزِيزاً حَكِيماً " (النساء: ٥٦) ، " سَمِيعاً بَصِيراً" (النساء: ٥٨) فكأنه كان ثم مضى، فقال ابن عباس رضي الله عنهما : "فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَآءَلُونَ " (المؤمنون: ١٠١) في النفخة الأولى، كما قال تعالى : "فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلأَرْضِ إِلاَّ مَن شَآءَ ٱللَّهُ" (الزمر: ٦٨) ، وفي النفخة الأخرى " وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ " (الصافات: ٢٧، الطور: ٢٥). وأما قوله : "وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ " (الأنعام: ٢٣) ، " وَلاَ يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثاً " (النساء: ٤٢) ، فإن الله تعالى يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم فيقول المشركون: تعالوا نقول: لم نكن مشركين، فيختم على أفواههم، فتنطق أيديهم، فعند ذلك يعرف أن الله تعالى لا يكتم حديثاً، وعنده " يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ " (النساء: ٤٢، الحجر: ٢) الآية، وخلق الأرض في يومين، ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحى الأرض، ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والرمال والجماد والآكام وما بينهما في يومين آخرين، فذلك قوله تعالى: { دَحَاهَا } وقوله: { خَلَقَ ٱلأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ } فخلق الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام وخلق السماوات في يومين، " وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً " (النساء: ٩٦) سمى نفسه بذلك، وذلك قوله أي لم يزل كذلك، فإن الله تعالى لم يرد شيئاً إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلفن عليك القرآن، فإن كلا من عند الله عزّ وجلّ. وقوله تعالى: { خَلَقَ ٱلأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ } يعني يوم الأحد ويوم الأثنين، { وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن

فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا } أي جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والغراس، وقدر فيها أقواتها، وهو ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس يعني يومِ الثلاثاء والأربعاء، فهما مع اليومين السابقين أربعة ولهذا قال:{ فِيَ أَرْبَعَةِ أَيَّام سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ } أي لمن أراد السؤال، عن ذلك ليعلمه.)) . (مختصر تفسير ابن كثير للصابوني) .

٢٧ ـ قال الصابوني : ((}وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا { أي جعل في الأرض جبالاً ثوابت لئلا تميد بالبشر { وَبَارَكَ فِيهَا } أي أكثر خيرها بما جعل فيها من المياه، والزروع، والضروع { وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا } أي قدَّر أرزاق أهلها ومعاشهم قال مجاهد: خلق فيها أنهارها وأشجارها ودوابها { فِيَ أَرْبَعَةِ أَيَّام سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ } أي في تمام أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان، للسائلين عن مدة خلق الأرض وما فيها)) . (صفوة التفاسير للصابوني) .

٢٨ ـ قال القرطبي : ((فِي أَرْبَعَةِ أَيَّام" يَعْنِي فِي تَتِمَّةِ أَرْبَعَةِ أَيَّام. وَمِثَالُهُ قَوْلُ الْقَائِلِ: خَرَجْتُ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى بَغْدَادَ فِي عَشَرَةِ أَيَّامٍ، وَإِلَى الْكُوفَةِ فِي خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، أَيْ فِي تَتِمَّةِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا. قَالَ مَعْنَاهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ وَغَيْرُهُ)) . (تفسير القرطبي) .

وقال القرطبي : ((فِي يَوْمَيْنِ" سِوَى الْأَرْبَعَةِ الْأَيَّامِ الَّتِي خلق فيها الأرض، فوقع خلق السموات وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى :(خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّام)]الأعراف: ٥٤] عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي [الْأَعْرَافِ] بَيَانُهُ. قَالَ مُجَاهِدٌ: وَيَوْمٌ مِنَ السِّتَّةِ الْأَيَّامِ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ، وَقَدَّرَ فيها أقواتها في يومين، وخلق السموات فِي يَوْمَيْنِ، خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ والاثنين، وقدر فيها أقواتها في يومين، وخلق السموات فِي يَوْمَيْنِ، خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ وَالِاثْنَيْنِ، وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ وَيَوْمَ الأربعاء، وخلق السموات فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ وَيَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَآخِرُ سَاعَةٍ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ فِي عَجَلٍ، وَهِيَ الَّتِي تَقُومُ فِيهَا السَّاعَةُ، وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ تَفْزَعُ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ إِلَّا الْإِنْسَ وَالْجِنَّ. عَلَى هَذَا أَهْلُ التَّفْسِيرِ، إِلَّا مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَخَذَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِيَدَيَّ، فَقَالَ: "خَلَقَ اللَّهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ" الْحَدِيثُ، وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَى إِسْنَادِهِ فِي أَوَّلِ سُورَةِ (الْأَنْعَامِ) .)) . (تفسير القرطبي) .

٢٩ ـ تفسير الجلالين : (((وجعل) مستأنف ولا يجوز عطفه على صلة الذي للفاصل الأجنبي (فيها رواسي) جبالا ثوابت (من فوقها

وبارك فيها) بكثرة المياه والزروع والضروع (وقدر) قسم (فيها أقواتها) للناس والبهائم (في) تمام (أربعة أيام) أي الجعل وما ذكر معه في يوم الثلاثاء والأربعاء)) . (تفسير الجلالين) .

٣٠ ـ حاشية الصاوي / تفسير الجلالين : ((قوله: "فِيۤ" (تمام) "أَرْبَعَةِ أَيَّام" أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، دفعاً لما يتوهم أن ٱلأيام ثمانية : يومان في خلق الأرض، وأربعة في خلق الأقوات ، ويومان في خلق السماوات، لينافي في قوله تعالى : "وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ " (ق: ٣٨) .)) . (حاشية الصاوي / تفسير الجلالين) .

٣١ ـ قال القاسمي : ((" وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّام سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ " أي: مستوية بالامتزاج والاعتدال، للطالبين لٱلأقوات والمعايش؛ أي: قدرها لهم، أو لمن سأل عن مبلغ الأجل الذي خلق الله فيه الأرض، وجعل فيها الرواسي والبركة، وتقدير الأقوات. فحدّه، كما أخبر تعالى، وأنه أربعة أيام)). (محاسن التأويل ، القاسمي) .

٣٢ ـ قال فخر الدين الرازي : (((فِي أَرْبَعَةِ أَيّام سَواءً لِلسّائِلِينَ) وهَهُنا سُؤالاتٌ: السُّؤالُ الأوَّلُ: أنَّهُ تَعالى ذَكَرَ أنَّهُ خَلَقَ الأرْضَ في يَوْمَيْنِ، وذَكَرَ أنَّهُ أصْلَحَ هَذِهِ الأنْواعَ الثَّلاثَةَ في أرْبَعَةِ أيّام أُخَرَ، وذَكَرَ أنَّهُ خَلَقَ السَّماواتِ في يَوْمَيْنِ، فَيَكُونُ المَجْمُوعُ ثَمانِيَةَ أيّام، لَكِنَّهُ ذَكَرَ في سائِرِ الآياتِ أنَّهُ خَلَقَ السَّماواتِ والأرْضَ في سِتَّةِ أيّامٍ فَلَزِمَ التَّناقُضُ. واعْلَمْ أنَّ العُلَماءَ أجابُوا عَنْهُ بِأنْ قالُوا: المُرادُ مِنَ قَوْلِهِ :(وقَدَّرَ فِيها أقْواتَها في أرْبَعَةِ أيّام) مَعَ اليَوْمَيْنِ الأوَّلِينَ، وهَذا كَقَوْلِ القائِلِ: سِرْتُ مِنَ البَصْرَةِ إلى بَغْدادَ في عَشَرَةِ أيّام، وسِرْتُ إلى الكُوفَةِ في خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا يُرِيدُ كِلا المَسافَتَيْنِ، ويَقُولُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ أعْطَيْتُكَ ألْفًا في شَهْرٍ وأُلُوفًا في شَهْرَيْنِ فَيَدْخُلُ الألْفُ في الألُوفِ والشَّهْرُ في الشَّهْرَيْنِ.السُّؤالُ الثّانِي: أنَّهُ لَمّا ذَكَرَ أنَّهُ خَلَقَ الأرْضَ في يَوْمَيْنِ، فَلَوْ ذَكَرَ أنَّهُ خَلَقَ هَذِهِ الأنْواعَ الثَّلاثَةَ الباقِيَةَ في يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ كانَ أبْعَدَ عَنِ الشُّبْهَةِ وأبْعَدَ عَنِ الغَلَطِ، فَلِمَ تَرَكَ هَذا التَّصْرِيحَ، وذَكَرَ ذَلِكَ الكَلامَ المُجْمَلَ ؟ والجَوابُ: أنَّ قَوْلَهُ :(فِي أرْبَعَةِ أيّامٍ سَواءً لِلسّائِلِينَ) فِيهِ فائِدَةٌ عَلى ما إذا قالَ: خَلَقْتُ هَذِهِ

الثَّلاثَةَ في يَوْمَيْنِ، وذَلِكَ لِأنَّهُ لَوْ قالَ: خَلَقْتُ هَذِهِ الأشْياءَ في يَوْمَيْنِ مَعَ أنَّ اليَوْمَيْنِ ما كانا مُسْتَغْرَقَيْنِ بِذَلِكَ العَمَلِ، أمّا لَمّا ذَكَرَ خَلْقَ الأرْضِ وخَلْقَ هَذِهِ الأشْياءِ، ثُمَّ قالَ بَعْدَهُ :(فِي أرْبَعَةِ أيّامٍ سَواءً لِلسّائِلِينَ) دَلَّ ذَلِكَ عَلى أنَّ هَذِهِ الأيّامَ الأرْبَعَةَ صارَتْ مُسْتَغْرَقَةً في تِلْكَ الأعْمالِ مِن غَيْرِ زِيادَةٍ ولا نُقْصانٍ.السُّؤالُ الثّالِثُ: كَيْفَ القِراءاتُ في قَوْلِهِ (سَواءً) ؟ والجَوابُ: قالَ صاحِبُ "الكَشّافِ" قُرِئَ (سَواءً) بِالحَرَكاتِ الثَّلاثِ، الجَرِّ عَلى الوَصْفِ، والنَّصْبِ عَلى المَصْدَرِ: اسْتَوَتْ سَواءً، والرَّفْعِ عَلى: هي سَواءٌ.السُّؤالُ الرّابِعُ: ما المُرادُ مِن كَوْنِ تِلْكَ الأيّامِ الأرْبَعَةِ سَواءً ؟ فَنَقُولُ: إنَّ الأيّامَ قَدْ تَكُونُ مُتَساوِيَةَ المَقادِيرِ كالأيّامِ المَوْجُودَةِ في أماكِنِ خَطِّ الِاسْتِواءِ، وقَدْ تَكُونُ مُخْتَلِفَةً كالأيّامِ المَوْجُودَةِ في سائِرِ الأماكِنِ، فَبَيَّنَ تَعالى أنَّ تِلْكَ الأيّامَ الأرْبَعَةَ كانَتْ مُتَساوِيَةً غَيْرَ مُخْتَلِفَةٍ.السُّؤالُ الخامِسُ: بِمَ يَتَعَلَّقُ قَوْلُهُ: (لِلسّائِلِينَ) ؟الجَوابُ فِيهِ وجْهانِ:الأوَّلُ: أنَّ الزَّجّاجَ قالَ: قَوْلُهُ :(فِي أرْبَعَةِ أيّامٍ) أيْ في تَتِمَّةِ أرْبَعَةِ أيّامٍ، إذا عَرَفْتَ هَذا فالتَّقْدِيرُ (وقَدَّرَ فِيها أقْواتَها) في تَتِمَّةِ أرْبَعَةِ أيّامٍ لِأجْلِ السّائِلِينَ، أيِ الطّالِبِينَ لِلْأقْواتِ المُحْتاجِينَ إلَيْها.والثّانِي: أنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ والتَّقْدِيرُ كَأنَّهُ قِيلَ: هَذا الحَصْرُ والبَيانُ لِأجْلِ مَن سَألَ كَمْ خُلِقَتِ الأرْضُ وما فِيها ؟))))) . (تفسير الرازي / مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي) .

٣٣ ـ قال أبو حيان : ((ومَعْنى (فِي يَوْمَيْنِ) :فِي مِقْدارِ يَوْمَيْنِ.(وتَجْعَلُونَ لَهُ أنْدادًا) أيْ: أشْباهًا وأمْثالًا مِنَ المَلائِكَةِ والجِنِّ والأصْنامِ يَعْبُدُونَها دُونَهُ. وقالَ السُّدِّيُّ: أكْفاءٌ مِنَ الرِّجالِ يُطِيعُونَهم). (وتَجْعَلُونَ) مَعْطُوفٌ عَلى (لَتَكْفُرُونَ)، فَهو داخِلٌ في حَيِّزِ الِاسْتِفْهامِ المُقْتَضِي الإنْكارَ والتَّوْبِيخَ، (ذَلِكَ) أيْ: مُوجِدُ الأرْضِ ومُخْتَرِعُها، (رَبُّ العالَمِينَ) مِنَ الأنْدادِ الَّتِي جَعَلْتُمْ لَهُ وغَيْرِهِمْ.(وجَعَلَ فِيها رَواسِيَ) :إخْبارٌ مُسْتَأْنَفٌ، ولَيْسَ مِنَ الصِّلَةِ في شَيْءٍ، بَلْ هو مَعْطُوفٌ عَلى قَوْلِهِ :(لَتَكْفُرُونَ) .(وبارَكَ فِيها) : أكْثَرَ فِيها خَيْرَها. (وقَدَّرَ فِيها أقْواتَها) أيْ: أرْزاقَ ساكِنِيها ومَعايِشَهم، وأضافَهُما إلى الأرْضِ مِن حَيْثُ هي فِيها وعَنْها بَرَزَتْ، قالَهُ السُّدِّيُّ.وقالَ قَتادَةُ :(أقْواتَها) مِنَ الجِبالِ والأنْهارِ

والأشْجارِ والصُّخُورِ والمَعادِنِ، والأشْياءِ الَّتِي بِها قِوامُ الأرْضِ ومَصالِحُها.وقالَ مُجاهِدٌ :(أقْواتَها) مِنَ المَطَرِ والمِياهِ. وقالَ عِكْرِمَةُ، والضَّحّاكُ، ومُجاهِدٌ أيْضًا: خَصائِصُها الَّتِي قَسَّمَها في البِلادِ مِمّا خَصَّ بِهِ كُلَّ إقْلِيمٍ، فَيَحْتاجُ بَعْضُها إلى بَعْضٍ في التَّقَوُّتِ مِنَ المَلابِسِ والمَطاعِمِ والنَّباتِ.(فِي أرْبَعَةِ أيّامٍ) أيْ: في تَمامِ أرْبَعَةِ أيّامٍ بِاليَوْمَيْنِ المُتَقَدِّمَيْنِ. وقالَ الزَّمَخْشَرِيُّ (فِي أرْبَعَةِ أيّامٍ)، فَذَلِكَ لِمُدَّةِ خَلْقِ اللَّهِ وما فِيها، كَأنَّهُ قالَ: كُلُّ ذَلِكَ في أرْبَعَةِ أيّامٍ كامِلَةٍ مُسْتَوِيَةٍ بِلا زِيادَةٍ ولا نُقْصانٍ.وقالَ الزَّجّاجُ: في تَتِمَّةِ أرْبَعَةِ أيّامٍ، يُرِيدُ بِالتَّتِمَّةِ اليَوْمَيْنِ. انْتَهى. وهَذا كَما تَقُولُ: بَنَيْتُ جِدارَ بَيْتِي في يَوْمٍ، وأكْمَلْتُ جَمِيعَهُ في يَوْمَيْنِ، أيْ: بِالأوَّلِ. وقالَ أبُو عَبْدِ اللَّهِ الرّازِيُّ: ويُفْقَهُ مِن كَلامِ الزَّمَخْشَرِيِّ (فِي أرْبَعَةِ أيّامٍ) فائِدَةٌ زائِدَةٌ عَلى قَوْلِهِ في يَوْمَيْنِ؛ لِأنَّ قَوْلَهُ في يَوْمَيْنِ لا يَقْتَضِي الِاسْتِغْراقَ لِذَلِكَ العَمَلِ. أمّا لَمّا ذَكَرَ خَلْقَ الأرْضِ وخَلْقَ هَذِهِ الأشْياءِ، ثُمَّ قالَ (فِي أرْبَعَةِ أيّامٍ سَواءً)، دَلَّ عَلى أنَّ هَذِهِ الأيّامَ مُسْتَغْرَقَةٌ في تِلْكَ الأعْمالِ مِن غَيْرِ زِيادَةٍ ونُقْصانٍ. انْتَهى. ولا فَرْقَ بَيْنَ يَوْمَيْنِ وأرْبَعَةِ أيّامٍ بِالنِّسْبَةِ إلى الِاسْتِغْراقِ، فَإنْ كانَتْ (أرْبَعَةٌ) تَقْتَضِي الِاسْتِغْراقَ، وكَذَلِكَ اليَوْمانِ يَقْتَضِيانِهِ، ومَتى كانَ الظَّرْفُ مَعْدُودًا، كانَ العَمَلُ في جَمِيعِهِ، إمّا عَلى سَبِيلِ التَّعْمِيمِ، نَحْوَ: سِرْتُ يَوْمَيْنِ، وقَدْ يَكُونُ في بَعْضِ كُلِّ يَوْمٍ مِنها، نَحْوَ: تَهَجَّدْتُ لَيْلَتَيْنِ، فاحْتُمِلَ الِاسْتِغْراقُ، واحْتُمِلَ في بَعْضِ كُلِّ واحِدٍ مِنَ اللَّيْلَتَيْنِ؛ وإذا كانَ كَذَلِكَ احْتُمِلَ أنْ يَكُونَ وقَعَ الخَلْقُ لِلْأرْضِ في بَعْضِ كُلِّ واحِدٍ مِنَ اليَوْمَيْنِ، واحْتُمِلَ أنْ يَكُونَ اليَوْمانِ مُسْتَغْرَقَيْنِ لِخَلْقِها، فَكَذَلِكَ (فِي أرْبَعَةِ أيّامٍ) يَحْتَمِلُ الِاسْتِغْراقَ، وأنْ يَكُونَ خَلْقُ الأرْضِ والجِبالِ والبَرَكَةِ وتَقْدِيرُ الأقْواتِ وقَعَ في بَعْضِ كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الأرْبَعَةِ، فَما قالَهُ أبُو عَبْدِ اللَّهِ الرّازِيُّ لَمْ تَظْهَرْ بِهِ فائِدَةٌ زائِدَةٌ.)) . (البحر المحيط لأبي حيان) .

٣٤ ـ قال أبو حيان : ((ومعنى في يومين أي في مقدار يومين وبارك فيها أكثر من خيرها، وقدّر فيها أقواتها أي أرزاق ساكنيها ومعائشهم في أربعة أيام أي في تمام أربعة أيام باليومين المتقدمين. وقرىء: سواء بالجر صفة لأربعة وبالنصب على الحال وبالرفع

خبر مبتدأ محذوف تقديره هي سواء)) . (النهر الماد ، أبو حيان الأندلسي) .

٣٥ ـ قال الواحدي : (("قل أئِنَّكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين" الأحد والأثنين. "وبارك فيها" بما خلق فيها من المنافع "وقدَّر فيها أقواتها" أرزاق أهلها وما يصلح لمعاشهم من البحار والأنهار، والأشجار والدَّوابِّ "في أربعة أيام" في تتمة أربعة أَيَّام وهو يوم الثلاثاء والأربعاء، فصارت الجملة أربعة أيَّام خلق اللهُ الأرض وما فيها من سبب الأقوات والمنافع والتجارات، فتمَّ أمرها في أربعة أيَّام "سواء" أَيْ: استوت استواء، وسواءً "للسائلين" عن ذلك، أَيْ: لمَنْ سأل في كم خُلقت السَّموات والأرض؟ فيقال: في أربعة أيام)) . (الوجيز للواحدي) .

٣٦ ـ قال ابن أبي زمنين : (((فِي أَرْبَعَةِ أَيَّام) فِي تَتِمَّة أَرْبَعَة أَيَّامٍ ، يَعْنِي: خلق الأَرْض فِي يَوْمَيْنِ ، وأقواتها فِي يَوْمَيْنِ ، ثمَّ جمع الْأَرْبَعَة الْأَيَّام فَقَالَ : (فِي أَرْبَعَةِ أَيَّام سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ) .)) . (تفسير ابن أبي زمنين) .

٣٧ ـ قال الآلوسي : (("فِى أَرْبَعَةِ أَيَّام" متعلق بحصول الأمور المذكورة لا بتقديرها على ما في «إرشاد العقل السليم»، والكلام على تقدير مضاف أي قدر حصولها في تتمة أربعة أيام؛ وكان الزجاج يعلقه ـ بقدر ـ كما هو رأي الإمام أبـي حنيفة في القيد إذا وقع متعاطفات نحو أكرمت زيداً وضربت عمراً ورأيت خالداً في الدار، والشافعي يقول: المتعقب للجمل يعود إليها جميعاً لأن الأصل اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في المتعلقات فيكون القيد هنا عائداً إلى جعل الرواسي وما بعده وهو الذي يتبادر إلى فهمي ولا بد من تقدير المضاف الذي سمعت وقد صرح الزجاج بتقديره ولم يقدره الزمخشري وجعل الجار متعلقاً بمحذوف وقع خبراً لمبتدأ محذوف أي كل ذلك من خلق الأرض وما بعده كائن في أربعة أيام على أنه فذلكة أي كلام منقطع أتى به لمجمل ما ذكر مفصلاً مأخوذة من فذلكة الحساب وقولهم: فذلك كذا بعد استقرار الجمع فما نحن فيه ألحق فيه أيضاً جملة من العدد بجملة أخرى وجعله كذلك لا يمنع عطف { جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ } على مقدر لأن الربط المعنوي كاف. والقول بأن الفذلكة تقتضي

التصريح بذكر الجملتين مثل أن يقال: سرت من البصرة إلى واسط في يومين ومن واسط إلى الكوفة في يومين فذلك أربعة أيام وهٰهنا لم ينص إلا على أحد المبلغين غير سديد لأن العلم بالمبلغين في تحقيق الفذلكة كاف على أن المراد أنه جار مجراها وإنما لم يجز الحمل على أن جعل الرواسي وما ذكر عقيبه أو تقدير الأقوات في أربعة أيام لأنه يلزم أن يكون خلق الأرض وما فيها في ستة أيام وقد ذكر بعده أن خلق السمٰوات في يومين فيكون المجموع ثمانية أيام. وقد تكرر في كتاب الله تعالى أن خلقهما أعني السمٰوات والأرض في ستة أيام وقيدت الأيام الأربعة بقوله تعالى: { سَوَآءً } فإنه مصدر مؤكد لمضمر هو صفة لأيام أي استوت سواء أي استواء كما يدل عليه قراءة زيد بن علي، والحسن وابن أبـي إسحٰق وعمرو بن عبيد وعيسى ويعقوب { سوآءٍ } بالجر فإنه صريح في الوصفية وبذلك يضعف القول بكونه حالاً من الضمير في { أَقْوٰتَهَا } مع قلة الحال من المضاف إليه في غير الصور الثلاث ولزوم تخالف القراءتين في المعنى. ويعلم من ذلك أنه على قراءة أبـي جعفر بالرفع يجعل خبر المبتدأ محذوف أي هي سواء وتجعل الجملة صفة لأيام أيضاً لا حالاً من الضمير لدفع التجوز فإنه شائع في مثل ذلك مطرد في عرفي العرب والعجم فتراهم يقولون: فعلته في يومين ويريدون في يوم ونصف مثلاً وسرت أربعة أيام ويريدون ثلاثة ونصفاً مثلاً، ومنه قوله تعالى : "ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ" (البقرة: ١٩٧) فإن المراد بالأشهر فيه شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة وليلة النحر وذلك لأن الزائد جعل فرداً مجازاً. ثم أطلق على المجموع اسم العدد الكامل فالمعنى هٰهنا في أربعة أيام لا نقصان فيها ولا زيادة وكأنه لذلك أوثر ما في التنزيل على أن يقال: وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في يومين كما قيل / أولاً " خَلَقَ ٱلأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ" (فصلت: ٩) وحاصله أنه لو قيل ذلك لكان يجوز أن يراد باليومين الأولين والآخيرين أكثرهما وإنما لم يقل خلق الأرض في يومين كاملين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في يومين

كاملين أو خلق الأرض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في يومين تلك أربعة سواء لأن ما أورده سبحانه أخصر وأفصح وأحسن طباقاً لما عليه التنزيل من مغاصات القرائح ومصاك الركب ليتميز الفاضل من الناقص والمتقدم من الناكص وترتفع الدرجات وتتضاعف المثوبات. وقال بعض الأجلة: إن في النظم الجليل دلالة أي مع الاختصار على أن اليومين الأخيرين متصلان باليومين الأولين لتبادره من جعلهما جملة واحدة واتصالهما في الذكر)) . (روح المعاني ، الآلوسي) .

٣٨ ـ قال الفيروز آبادي : (("وَجَعَلَ فِيهَا" خلق فيها { رَوَاسِيَ } الجبال الثوابت { مِن فَوْقِهَا } أوتاداً لها { وَبَارَكَ فِيهَا } في الأرض بالماء والشجر والنبات والثمار { وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا } معايشها ففي كل أرض معيشة ليست في غيرها { فِيۤ أَرْبَعَةِ أَيَّام } يقول خلق الله الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة من سني الدنيا قدر فيها أرزاق الأجساد قبل أرواحها بأربعة آلاف سنة من سني الدنيا)) . (تفسير القرآن ، الفيروز آبادي) .

٣٩ ـ قال أسعد حومد : ((- (10)وَهُوَ رَبُّ العَالَمِينَ الذِي جَعَلَ فِي الأَرْضِ جِبَالاً ثَوَابِتَ، رَاسِيَاتٍ، تُرْسِي الأَرْضَ وَتُثَبِّتُهَا لِكَيْلاَ تَمِيدَ وَتَضْطَرِبَ بِمَنْ عَلَيْهَا مِنَ المَخْلُوقَاتِ. وَهُوَ الذِي بَارَكَ فِي الأَرْضِ، وَجَعَلَهَا كَثِيرَةَ الخَيْرِ وَالْمَنْفَعَةِ، وَقَدَّرَ لأَهْلِهَا الأَقْوَاتَ والأَرْزَاقَ بِمَا يُنَاسِبُ حَالَ كُلٍّ مِنْهُم، فَأَتَمَّ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّام: فَقَدْ خَلَقَ اللهُ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا الرَّوَاسِيَ فِي يَوْمَيْنِ، وَأَكْثَرَ الخَيْرَاتِ وَقَدَّرَ الأَرْزَاقَ فِي يَوْمَينِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ فِي أَرْبَعَةِ أَيَام كَامِلَةٍ، وَفْقَ مُرَادِ طَالِبِ القُوتِ (سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ)، وَهُوَ مَنْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَيْهِ مِنْ إِنْسَانٍ وَحَيَوانٍ)) . (أيسر التفاسير ، أسعد حومد) .

٤٠ ـ قال السمرقندي : ((فقال عز وجل { قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ } اللفظ لفظ الاستفهام والمراد به التهديد والزجر، يعني أئنكم لتكذبون بالخالق الذي خلق الأرض في يومين يوم الأحد ويوم الإثنين، فبدأ خلقها في يوم الأحد، وبسطها في يوم الاثنين { وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً } يعني تصفون له شركاء من الآلهة { ذَلِكَ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ } يعني الذي خلق الأرض فهو رب جميع الخلق، ولو أراد الله أن يخلقها في لحظة واحدة لفعل، وكان قادراً ولكنه أحب أن يبصر الخلق وجوه الأناة، والقدرة على خلق السموات والأرض في أيام كثيرة، وفي لحظة

واحدة سواء، لأن الخلق عاجزون عن مثقال ذرة منها، وكان ابتداء خلق الأرض في يوم الأحد، وإتمام خلقها وبسطها في يوم الاثنين { وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ مِن فَوْقِهَا } يعني وخلق في الأرض الرواسي يعني الجبال الثوابت من فوقها { وَبَـٰرَكَ فِيهَا } بالماء والشجر { وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَٰتَهَا } [يعني قسم فيها الأرزاق وقال عكرمة: قدر فيها أقواتها] يعني قدر في كل قرية عملاً لا يصلح في الأخرى، مثل النيسابوري لا يكون إلا بنيسابور، والهروي لا يكون إلا بهراة، وقال قتادة: { وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَٰتَهَا } قال جبالها، ودوابها، وأنهارها، وثمارها، وقال الحسن: وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْواتَهَا قال: أرزاقها، وقال مقاتل: يعني: أرزاقها ومعايشها، وروى الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس رضي الله عنهم قال: أول ما خلق الله من شيء، خلق القلم، فقال له اكتب، فقال يا رب وما أكتب؟ فقال: اكتب القدر فجرى بما يكون من ذلك اليوم إلى يوم القيامة، ثم خلق النون، ثم رفع بخار الماء ففتق منه السموات ثم بسط الأرض على ظهر النون، فاضطرب النون، فتمادت الأرض فأوتدت بالجبال، ثم قال { فِى أَرْبَعَةِ أَيَّام } يعني من أيام الآخرة، ويقال من أيام الدنيا)) . (بحر العلوم ، السمرقندي) .

٤١ ـ قال ابن عطية : ((واختلف رواة الحديث في اليوم الذي ابتدأ الله تعالى فيه خلق الأرض، فروي عن ابن عباس وغيره: أن أول يوم هو الأحد، وأن الله تعالى خلق فيه وفي الاثنين: الأرض، ثم خلق الجبال ونحوها يوم الثلاثاء. قال ابن عباس فمن هنا قيل: هو يوم ثقيل. ثم خلق الشجر والثمار والأنهار يوم الأربعاء، ومن هنا قيل: هو يوم راحة وتفكر في هذه التي خلقت فيه. ثم خلق السماوات وما فيها يوم الخميس ويوم الجمعة، وفي آخر ساعة من يوم الجمعة: خلق آدم. وقال السدي: وسمي يوم الجمعة لاجتماع المخلوقات فيه وتكاملها، فهذه رواية فيها أحاديث مشهورة. ولما لم يخلق تعالى في يوم السبت شيئاً امتنع فيه بنو إسرائيل عن الشغل. ووقع في كتاب مسلم بن الحجاج: أن أول يوم خلق الله فيه التربة يوم السبت، ثم رتب المخلوقات على ستة أيام، وجعل الجمعة عارياً من المخلوقات على ستة أيام إلا من آدم وحده. والظاهر من القصص في طينة آدم أن الجمعة التي خلق فيها آدم قد تقدمتها أيام وجمع كثيرة، وأن هذه الأيام التي خلق الله فيها هذه المخلوقات هي أول الأيام، لأن بإيجاد الأرض والسماء والشمس وجد اليوم، وقد يحتمل أن يجعل تعالى قوله: { يومين } على التقدير، وإن لم تكن الشمس خلقت بعد، وكأن تفصيل الوقت يعطي أنها الأحد ويوم الاثنين كما ذكر. والأنداد: الأشباه والأمثال، وهذه إشارة إلى كل ما عبد من الملائكة والأصنام وغير ذلك. قال السدي: أكفاء من الرجال تطيعونهم. والرواسي: هي الجبال الثوابت، رسا الجبل إذا ثبت. وقوله تعالى: { وبارك فيها } أي جعلها منبتة للطيبات والأطعمة، وجعلها طهوراً إلى غير ذلك من وجوه البركة. وفي قراءة ابن مسعود: "وقسم فيها أقواتها". وفي مصحف عثمان رضي الله عنه" :وقدر" واختلف الناس في معنى قوله: { أقواتها } فقال

السدي: هي أقوات البشر وأرزاقهم، وأضافها إلى الأرض من حيث هي فيها وعنها. وقال قتادة: هي أقوات الأرض من الجبال والأنهار والأشجار والصخور والمعادن والأشياء التي بها قوام الأرض ومصالحها. وروى ابن عباس رضي الله عنه في هذا المعنى حديثاً مرفوعاً فشبهها بالقوت الذي به قوام الحيوان. وقال مجاهد: أراد { أقواتها } من المطر والمياه. وقال عكرمة والضحاك ومجاهد أيضاً: أراد بقوله: { أقواتها } خصائصها التي قسمها في البلاد، فجعل في اليمن أشياء ليست في غيره، وكذلك في العراق والشام والأندلس وغيرها من الأقطار ليحتاج بعضها إلى بعض ويتقوت من هذه في هذه الملابس والمطعوم، وهذا نحو القول الأول، إلا أنه بوجه أعم منه. وقوله تعالى: { في أربعة أيام } يريد باليومين الأولين، وهذا كما تقول: بنيت جدار داري في يوم وأكملت جميعها في يومين، أي بالأول)) . (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية) .

٤٢ ـ قال البيضاوي : (("فِي أَرْبَعَةِ أَيَّام" في تتمة أربعة أيام كقولك: سرت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام، وإلى الكوفة في خمسة عشر يوماً. ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين للإشعار باتصالهما باليومين الأولين. والتصريح على الفذلكة)) . (انوار التنزيل واسرار التأويل ، البيضاوي) .

٤٣ ـ قال ابن عاشور : ((عطف على فعل الصلة لا على معمول الفعل، فجملة { وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ } الخ صلة ثانية في المعنى، ولذلك جيء بفعل آخر غير فعل (خلق) لأن هذا الجعل تكوين آخر حصل بعد خلق الأرض وهو خلق أجزاء تتصل بها إما من جنسها كالجبال وإما من غير جنسها كالأقوات ولذلك أعقب بقوله: { فِي أَرْبَعَةِ أَيَّام } بعد قوله : "فِي يَوْمَيْنِ" (فصلت: ٩) والرواسي: الثوابت، وهو صفة للجبال لأن الجبال حجارة لا تنتقل بخلاف الرمال والكثبان، وهي كثيرة في بلاد العرب. وحذف الموصوف لدلالة الصفة عليه كقوله تعالى : "ومن آياته الجواري في البحر " (الشورى: ٣٢) أي السفن الجواري. وقد تقدم تفسيره عند قوله تعالى : "وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم" في سورة الأنبياء (٣١) . ووصفُ الرواسي بـــ { مِن فَوْقِهَا } لاستحضار الصورة الرائعة لمناظر الجبال، فمنها الجميل المنظر المجلّل بالخضرة أو المكسوّ بالثلوج، ومنها الرهيب المرأى مثل جبال النار (البراكين)، والجبال المعدنية السود. و { بارك فيها } جعل فيها البَركة. والبَرَكة: الخير النافع، وفي الأرض خيرات كثيرة فيها رزق الإنسان وماشيتِه، وفيها التراب والحجارة والمعادن، وكلها بركات. و{ قدَّر } جعل قَدْراً، أي مقداراً، قال تعالى : "قد جعل الله لكل شيء قدراً" (الطلاق: ٣) . والمقدار: النصاب المحدود بالنوع أو بالكمية، فمعنى { قدر فيها أقواتها } أنه خلق في الأرض القُوى التي تنشأ منها الأقوات وخلق أصول أجناس الأقوات وأنواعها من الحَبّ للحبوب، والكَلأ والكمْأة، والنَّوى للثمار، والحرارةِ التي يَتأثر بها تولد الحيوان من الدواب والطير، وما يتولد منه الحيتان ودَوابّ البحار والأنهار. ومن التقدير: تقدير كل نوع بما يصلح له من الأوقات من حر أو برد أو اعتدال. وأشار إلى ذلك قوله "والله أنبتكم من الأرض نباتاً" (نوح: ١٧) ويأتي القول فيه، وقوله : "وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر" (النحل: ٨١) وقوله : "وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً" (النحل: ٨٠) الآية. وجمع الأقوات مضافاً إلى ضمير الأرض يفيد العموم، أي جميع أقواتها وعمومُه باعتبار تعدد المقتاتين، فللدواب أقوات، وللطير أقوات، وللوحوش أقوات، وللزواحف أقوات، وللحشرات أقوات، وجُعل للإنسان جميع تلك الأقوات مما استطاب منها كما أفاده قوله تعالى : "هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً " ومضى الكلام عليه في سورة البقرة (٢٩) وقوله: { فِي أَرْبَعَةِ أَيَّام } فذلكة لمجموع مدة خلق الأرض جِرمِها، وما عليها من رواسي، وما فيها من القوى، فدخل في هذه الأربعة الأيام اليومانِ اللذان في قوله : "فِي يَوْمَيْنِ" (فصلت: ٩) فكأنه قيل: في يَومين آخرين فتلك أربعة أيام، فقوله في {

أرْبَعَة أيام } فذلكة، وعدل عن ذلك إلى ما في نسج الآية لقصد الإيجاز واعتماداً على ما يأتي بعدُه من قوله : "فقضاهن سبع سماوات في يومين " (فصلت: ١٢) ، فلو كان اليومان اللذان قضى فيهما خلق السماوات زائدين على ستة أيام انقضت في خلق الأرض وما عليها لصار مجموع الأيام ثمانية، وذلك ينافي الإشارة إلى عِدّة أيام الأسبوع، فإن اليوم السابع يوم فراغ من التكوين. وحكمة التمديد للخلق أن يقع على صفة كاملة متناسبة)) . (التحرير والتنوير ، ابن عاشور) .

٤٤ ـ قال الكازروني : (("قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ": أي: قدرها وفي الحديث : "أنهما الأحد والإثنين"وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً" : شركاء "ذَلِكَ" : القادر { رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ }: خلقها { وَجَعَلَ فِيهَا }: جبالا { رَوَاسِيَ }: ثوابت { مِن فَوْقِهَا }: ليظهر منافعها للناس وليستبصر بها { وَبَارَكَ فِيهَا } : بخلق المنافع { وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا }: فعين لكل نوع ما يعيش به { فِيۤ }: تتمة { أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ }: قدرها، وورد أنها الثلاثاء والأربعاء، و أفاد بإيثارها على يومين اتصالهما، والتصريح بالفذلكة، وقدرنا التتمة لتوافق خلق السموات والأرض في ستة أيام فاستوت الأربعة { سَوَآءً }: هذا الحصر { لِّلسَّآئِلِينَ } : عن مدة خلقها، أو متعلق قدر، إذ كل يسأل الرزق، ولكن خلق هذه الأشياء قبل دَحْوِهَا ، فلا يرد السؤال المذكور في البقرة، ولا يحتاج إلى جعل خلق الأرض بمعني الحكم بأنها ستوجد، ثم الحكمة في الخلق السماء وما فيها مع عظمها بيومين، واالأرض وما فيها من صغرها بأربعة، التنبيه على أن الثاني في خلق الأرض وما فيها ليس لعجز بل لحكم، وكذا خلق العالم الأكبر في ستة أيام، والإنسان في ستة أشهر)) . (الصراط المستقيم في تبيان القرآن الكريم ، الكازروني) .

٤٥ ـ قال الشعراوي : ((وقد أثبت الواقع ذلك، وأثبت العلم أن الجبال هي مصدر الخير لباقي الأرض، ومنها عناصر الخصوبة والغذاء الذي لا بدَّ منه لبقاء حياة الكائن الحي، ومعلوم أن العناصر في التربة تنقص وتحتاج إلى مَدَد وتجدُّد من حين لآخر. وهذا ما يحدث فعلاً، حين يسقط المطر على الجبال فيفتت قشرتها، ويحمل السيل هذا الفتات ويسير به ليوزعه على الأرض المسطحة المنزرعة، كما في طمي النيل زمان وقبل بناء السد العالي، هذا الطمي من أين جاء؟ من منابع النيل في أعلى الجبال. وكنا نرى ماء النيل مثل الطحينة، ويظل كذلك إلى المصبِّ في

البحر المتوسط، ومن هذا الطمي نشأت الدلتا، فالبحر كان يمتد حتى دمياط، والآن انظر لما بين دمياط ورأس البر مثلاً. كذلك الحال في الوديان حول الجبال، حيث تؤثر عوامل التعرية في القشرة الخارجية من الجبال، ويجرفها السيل إلى الوديان، فتجدد التربة وتزداد خصوبتها، فكأن الجبال بالفعل مخازن قوت البشر، لذلك قال عنها " وَبَارَكَ فِيهَا .. " (فصلت: ١٠) وتأمل أيضاً الحكمة والهندسة الكونية العالية، فالجبل قاعدته أسفل وقمته أعلى على عكس الوادي بين الجبلين، فرأس المثلث فيه إلى أسفل وقاعدته إلى أعلى، وكلّ عام يأتي المطر ليأخذ من قمة الجبل ويعطي لقاعدة الوادي، وكأنه تجدد واتساع للوادي يناسب الزيادة البشرية. فالله تعالى يعطي من نعمه على قدر الزيادة التي تخيفنا الآن، يعني: اطمئنْ فالرزق عند الله مضمون؛ لذلك قال بعدها " وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا .. " (فصلت: ١٠))) . (حواطر الشعراوي) .
وقال الشعراوي : ((هذه المراحل: " وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا .. " (فصلت: ١٠) جاءت في " أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ .. " (فصلت: ١٠) هذه الأربعة أيام { سَوَآءً .. } [فصلت: ١٠] أي: أيام متساوية { لِّلسَّآئِلِينَ } [فصلت: ١٠] أي: الطالبين للرزق. أو { فِيۤ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ .. } [فصلت: ١٠] يعني: في تتمة أربعة أيام { سَوَآءً .. } [فصلت: ١٠] أي: استوت وتمتْ. وحين نضيف هذه الأربعة أيام، إلى اليومين السابقين تعطينا ستة أيام هي مجمل خلق السماوات والأرض في ستة أيام، كما قال سبحانه في موضع آخر : " ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّام .. " (الأعراف: ٥٤) .)) . (حواطر الشعراوي) .
٤٦ ـ قال محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الأسبق : ((وقوله ـ تعالى -: { فِيۤ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ } متعلق بمحذوف يدل، عليه ما قبله. أى: خلق الأرض، وجعل فيه رواسى من فوقها، وبارك فيها، وقدر فيها أقواتها فى تمام أربعة أيام، فتكون المدة التى خلق فيها الأرض وما عليها أربعة أيام. وقوله ـ سبحانه - : "سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ" تأكيد لما دلت عليه الآية الكريمة من أن خلق كل من الأرض وما فيها وما عليها قد حدث فى أربعة أيام. قال الآلوسى: وقيدت الأيام الأربعة

بقوله: { سَوَآءً } فإنه مصدر مؤكد لمضمر هو صفة الأيام. أى: - فى أربعة أيام - استوت سواء، أى: استواء. وقوله - تعالى -: { لِّلسَّآئِلِينَ } متعلق بمحذوف وقع خبر لمبتدأ محذوف، أى: هذا الحصر فى أربعة، كائن للسائلين عن مدة خلق الأرض، وما فيها.. وقال الجمل فى حاشيته: فإن قيل لم جعلت مدة خلق الأرض بما فيها، ضعف مدة خلق السموات، مع كون السماء أكبر من الأرض وأكثر مخلوقات وعجائب؟ قلت: للتنبيه على أن الأرض هى المقصودة بالذات لما فيها من الثقلين ومن كثرة المنافع، فزادات مدتها ليكون ذلك أدخل فى المنة على ساكنيها، وللاعتناء بشأنهم وشأنهم - أيضا - زادت مدتها لما فيها من الابتلاء بالمعاصى والمجاهدات والمعالجات)) . (الوسيط في تفسير القرآن الكريم ، محمد سيد طنطاوي) .

٤٧ ـ قال الإيجي : (("فِي أَرْبَعَةِ أَيّام" أي: تتمتها لقوله: "خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستّة أيام (السجدة: ٤) ، واليومان الثلاثاء والأربعاء)) . (جامع البيان للإيجي) .

٤٨ ـ قال الخضيري : (((فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ) : يَوْمانِ لِخَلْقِ الأَرْضِ، ويَوَمْانِ لِخَلْقِ الرَّواسِي، وتَقْدِيرِ الأَقْواتِ)) . (غريبب القرآن للخضيري ـــ محمد بن عبد العزيز الخضيري) .

٤٩ ـ قال عز الدين عبد الرازق الرسعني الحنبلي : ((قوله تعالى: { قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ } قال ابن عباس وعبد الله بن سلام والسدي والأكثرون: يوم الأحد ويوم الاثنين. ومن حديث أبي هريرة في صحيح مسلم قال" :أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال: خلق الله التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر فيها يوم الاثنين .... ")) . (رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز ، عز الدين عبد الرازق الرسعني الحنبلي) .

وقال عز الدين عبد الرازق الرسعني الحنبلي : ((" سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ فِي يَوْمَيْنِ " قال ابن عباس وعبد الله بن سلام: يوم الخميس ويوم الجمعة)) . (رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز ، عز الدين عبد الرازق الرسعني الحنبلي) .

٥٠ ـ المختصر في التفسير : ((وجعل فيها جبالًا ثوابت من فوقها تثبتها لئلا تضطرب، وقدّر فيها أقوات الناس والبهائم في أربعة أيام متمَّة لليومين السابقين هما: يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء سواء لمن أراد أن يسأل عنها)) . (المختصر في التفسير ، مركز تفسير) .

٥١ ـ القرآن – تدبر وعمل : ((فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ) يَوْمَانِ لِخَلْقِ الأَرْضِ، وَيَوْمَانِ لِخَلْقِ الرَّوَاسِي، وَتَقْدِيرِ الأَقْوَاتِ)) . (القرآن – تدبر وعمل —– شركة الخبرات الذكية) .

ثانياً : من تفاسير السلفيين :

١ ـ قال السعدي : ((ينكر تعالى ويعجِّب، من كفر الكافرين به، الذين جعلوا معه أندادا يشركونهم معه، ويبذلون لهم ما يشاؤون من عباداتهم، ويسوونهم بالرب العظيم، الملك الكريم، الذي خلق الأرض الكثيفة العظيمة، في يومين، ثم دحاها في يومين، بأن جعل فيها رواسي من فوقها، ترسيها عن الزوال والتزلزل وعدم الاستقرار. فكمل خلقها، ودحاها، وأخرج أقواتها، وتوابع ذلك "فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ" عن ذلك، فلا ينبئك مثل خبير، فهذا الخبر الصادق الذي لا زيادة فيه ولا نقص. "ثُمَّ" بعد أن خلق الأرض "اسْتَوَى" أي : قصد "إِلَى" خلق "السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ" قد ثار على وجه الماء، "فَقَالَ لَهَا" ولما كان هذا التخصيص يوهم الاختصاص، عطف عليه بقوله: "وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا" أي: انقادا لأمري، طائعتين أو مكرهتين، فلا بد من نفوذه. "قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ" ليس لنا إرادة تخالف إرادتك . "فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ" فَتَمَّ خلق السماوات والأرض في ستة أيام، أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، مع أن قدرة الله ومشيئته صالحة لخلق الجميع في لحظة واحدة، ولكن مع أنه قدير، فهو حكيم رفيق، فمن حكمته ورفقه، أن جعل خلقها في هذه المدة المقدرة. واعلم أن ظاهر هذه الآية، مع قوله تعالى في النازعات، لما ذكر خلق السماوات قال : "وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا" يظهر منهما التعارض، مع أن كتاب الله، لا تعارض فيه ولا اختلاف. والجواب عن ذلك، ما قاله كثير من السلف، أن خلق الأرض وصورتها متقدم على خلق السماوات كما هنا، ودحي الأرض بأن " أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا " متأخر عن خلق السماوات كما في سورة النازعات، ولهذا قال فيها :"وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا" إلى آخره ولم يقل: "والأرض بعد ذلك خلقها")) . (تفسير تيسير الكريم الرحمن في

تفسير كلام المنان ، السعدي) .
٢ ـ قال أبو بكر الجزائري : (("في أربعة أيام" : أي في تمام أربعة أيام وهي الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء. سواء للسائلين: أي في أربعة أيام هي سواء لمن يسأل فإنها لا زيادة فيها ولا نقصان. ثم استوى إلى السماء: أي قصد بإرادته الربانية إلى السماء وهي دخان قبل أن تكون سماء. فقضاهن سبع سماوات في يومين: أي الخميس والجمعة ولذا سميت الجمعة جمعة لاجتماع الخلق فيها)) . (أيسر التفاسير ـــ أبو بكر الجزائري) .
وقال أبو بكر الجزائري : (((فِيۤ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً) لمن يسأل عنها إنها الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء أيٍ مقدرة بأيامنا هذه التي تكونت نتيجة الشمس والقمر والليل والنهار فلا تزيد يوماً ولا تنقص آخر. وقوله (ثُمَّ ٱسْتَوىٰ إلى ٱلسَّمَآءِ) في الآية الثالثة [١٠] يُخبر تعالى أنه بعد خلق الأرض استوى إلى السماء أي قصد بإرادته التي تعلو فوق كل إرادة (إلى ٱلسَّمَآءِ وهِيَ دُخانٌ) أي بخار وسديم ارتفع من الماء الذي كان عرشه تعالى عليه فقال لها كما قال (لِلأَرْضِ ٱئْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً) أي طائعتين أو مكرهتين لا بد من مجيئكما حسب ما أردت وقصدت فأجابتا بما أخبر تعالى عنهما في قوله :(قالَتَآ أَتَيْنا طَآئِعِينَ) أي لم يكن لنا أن نخالف أمر ربنا، (فَقَضَٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ فِي يَوْمَيْنِ) وهما الخميس والجمعة)) . (أيسر التفاسير ـــ أبو بكر الجزائري) .
٣ ـ قال الشنقيطي : ((قوله تعالى: "وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا فِيۤ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ" . الظاهر أن معنى قوله هنا في أربعة أيام: أي في تتمة أربعةّ أيام. وتتمة الأربعة حاصلة بيومين فقط، لأنه تعالى قال : "قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ" (فصلت: ٩) ثم قال في أربعة أيام، أي في تتمة أربعة أيام.ثم قال : " فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ " (فصلت: ١٢) فتضم اليومين إلى الأربعة السابقة، فيكون مجموع الأيام التي خلق فيها السماوات والأرض وما بينهما، ستة أيام. وهذا التفسير الذي ذكرنا في الآية لا يصح غيره بحال، لأن الله تعالى صرح في آيات متعددة من كتابه بأنه خلق السماوات

والأرض وما بينهما في ستة أيام كقوله في الفرقان : "ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّام ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً " (الفرقان: ٥٩) . وقوله تعالى في السجدة " ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّام ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ شَفِيعٍ" (السجدة: ٤) الآية. وقوله تعالى في ق . "وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّام وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ" (ق: ٣٨) وقوله تعالى في الأعراف "إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّام ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ" (الأعراف: ٥٤) الآية. إلى غير ذلك من الآيات. فلو لم يفسر قوله تعالى " فِيۤ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ " بأن معناه في تتمة أربعة أيام، لكان المعنى أنه تعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما في ثمانية أيام، لأن قوله تعالى: " فِيۤ أَرْبَعَةِ أَيَّام " إذا فسر بأنها أربعة كاملة ثم جمعت مع اليومين اللذين خلقت فيهما الأرض المذكورين في قوله (قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ" (فصلت: ٩) ، واليومين اللذين خلقت فيهما السماوات المذكورين في قوله تعالى : "فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ " (فصلت: ١٢) لكان المجموع ثمانية أيام. وذلك لم يقل به أحد من المسلمين. والنصوص القرآنية مصرحة بأنها ستة أيام، فعلم بذلك صحة التفسير الذي ذكرنا وصحة دلالة الآيات القرآنية عليه. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة " وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا " قد قدمنا الكلام على أمثاله من الآيات، في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى : " وَأَلْقَىٰ فِي ٱلأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ" (النحل: ١٥) الآية، وقوله تعالى: " وَبَارَكَ فِيهَا " أي أكثر فيها البركات، والبركة الخير، وقوله تعالى " وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا" . التقدير والخلق في لغة العرب معناهما واحد. والأقوات جمع قوت، والمراد بالأقوات أرزاق أهل الأرض ومعايشهم وما يصلحهم. وقد ذكرنا في كتابنا دفع إيهام الاضطراب، عن آيات الكتاب: أن آية فصلت هذه، أعني قوله تعالى: "وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا" يفهم منها الجمع بين الآيات الدالة على أن الأرض خلقت قبل السماء كقوله هنا " قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي

خَلَقَ ٱلأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ " (فصلت: ٩) ثم رتب على ذلك بثم، قوله "ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ" (فصلت: ١١) إلى قوله "فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ" (فصلت: ١٢) مع بعض الآيات الدالة على أن السماء خلقت قبل الأرض، كقوله تعالى في النازعات : "أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَاهَا" (النازعات: ٢٧) إلى قوله : " وَٱلأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا" (النازعات :٣٠) فقلنا في كتابنا المذكور ما نصه: قوله تعالى : " هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي ٱلأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ " (البقرة: ٢٩) الآية، هذه الآية تدل على أن خلق الأرض قبل خلق السماء، بدليل لفظة ثم التي هي للترتيب والانفصال.وكذلك آية حم السجدة، تدل أيضاً على خلق الأرض قبل السماء، لأنه قال فيها : "قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ " (فصلت: ٩) إلى أن قال " ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ " (فصلت: ١١) الآية. مع أن آية النازعات تدل على أن دحو الأرض بعد خلق السماء، لأنه قال فيها " أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَاهَا" (النازعات: ٢٧) ، ثم قال " : "وَٱلأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا" (النازعات: ٣٠) . اعلم أولاً أن ابن عباس رضي الله عنهما سئل عن الجمع بين آية السجدة وآية النازعات، فأجاب بأن الله تعالى خلق الأرض أولاً قبل السماء غير مدحوة، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبعاً في يومين، ثم دحا الأرض بعد ذلك، وجعل فيها الرواسي والأنهار وغير ذلك. فأصل خلق الأرض قبل خلق السماء، ودحوها بجبالها وأشجارها ونحو ذلك، بعد خلق السماء. ويدل لهذا أنه قال : "وَٱلأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا " (النازعات: ٣٠) ولم يقل خلقها ثم فسر دحوه إياها بقوله : "أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا" (النازعات: ٣١) وهذا الجمع الذي جمع به ابن عباس بين هاتين الآيتين واضح لا إشكال فيه. مفهوم من ظاهر القرآن العظيم إلا أنه يرد عليه إشكال من آية البقرة هذه. وإيضاحه أن ابن عباس جمع بأن خلق الأرض قبل خلق السماء، ودحوها بما فيها بعد خلق السماء. وفي هذه الآية التصريح بأن جميع ما في الأرض مخلوق قبل خلق السماء لأنه قال فيها " هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي ٱلأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى

ٱلسَّمَآءِ " (البقرة: ٢٩) الآية. وقد مكثت زمناً طويلاً أفكر في حل هذا الإشكال حتى هداني الله إليه ذات يوم ففهمته من القرآن العظيم. وإيضاحه: أن هذا الإشكال مرفوع من وجهين، كل منهما تدل عليه أية من القرآن.الأول: أن المراد بخلق ما في الأرض جميعاً قبل خلق السماء: الخلق اللغوي الذي هو التقدير لا الخلق بالفعل، الذي هو الإبراز من العدم إلي الوجود، والعرب تسمي التقدير خلقاً. ومنه قول زهير: ولأنت تَفْري ما خلقت وبعض القوم يخلُقُ ثم لا يَفْري . والدليل على أن المراد بهذا الخلق التقدير، أنه تعالى نص على ذلك في سورة فصلت. حيث قال : "وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَآ" (فصلت: ١٠) ثم قال : "ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ (فصلت: ١١) الآية. الوجه الثاني: أنه لما خلق الأرض غير مدحوة وهي أصل لكل، ما فيها كان كل ما فيها كأنه خلق بالفعل لوجود أصله فعلاً. والدليل من القرآن على أن وجود الأصل يمكن به إطلاق الخلق على الفرع، وإن لم يكن موجوداً بالفعل، قوله تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ" (الأعراف: ١١) الآية، فقوله : "خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ" (الأعراف: ١١) أي بخلقنا وتصويرنا لأبيكم آدم الذي هو أصلكم. وجمع بعض العلماء بأن معنى قوله "وَٱلأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا" (النازعات: ٣٠) أي مع ذلك، فلفظة بعد، بمعنى مع. ونظيره قوله تعالى : "عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ" (القلم: ١٣) وعليه فلا إشكال في الآية. ويستأنس لهذا القول بالقراءة الشاذة وبها قرأ مجاهد، والأرض مع ذلك دحاها. وجمع بعضهم بأوجه ضعيفة. لأنها مبينة على أن خلق السماء قبل الأرض وهو خلاف التحقيق. منها أن ثم: بمعنى الواو. ومنها: أنها للترتيب الذكري كقوله تعالى : "ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ " (البلد: ١٧) الآية)) . (أضواء البيان في تفسير القرآن ، الشنقيطي) .

٤ ـ تفسير ابن عثيمين : (((لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) قال المفسِّر: قال: (الأحد والاثنين)؛ لأن أول يوم ابتدأ الله فيه الخلق الأحد)) . (تفسير ابن عثيمين) .

تفسير ابن عثيمين : (((فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ))(فِي) تمام (أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ) أي:

الجعل وما ذكر معه في يوم الثلاثاء والأربعاء) إذا كان خلق الأرض أولها الأحد والإثنين ثم قال :(فِي أَرْبَعَةِ أَيَّام) ماذا يكون الباقي؟ الثلاثاء والأربعاء، فتكون الأرض خُلِقَت وقُدِّر فيها الأقوات (فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ).)) .
(تفسير ابن عثيمين) .
تفسير ابن عثيمين : ((***طالب: هل خلْق الأرض بما فيها من الرواسي والبحار في أربعة أيام أو في يومين؟ *الشيخ: في أربعة أيام، خلقها في يومين هكذا، ثم جعل فيها الرواسي وقدر الأقوات في يومين آخرين))** .
(تفسير ابن عثيمين) .
تفسير ابن عثيمين : (("فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً" وهنا لم يقل: في يومين سواء لماذا؟ لأن بعض اليومين خُلِقَ فيه آدم، هذا ما ذهب إليه المؤلف، وفيه نظر ظاهر، لأن هذا يقتضي أن آدم خُلِقَ حين خَلْقِ السماوات والأرض؛ يعني: في الأيام الستة التي خُلِقَت فيها السماوات والأرض وهذا لا شك أنه خطأ، بل إنه خُلِقَ بعد ذلك ما أقول: بملايين بل بمئات السنين؛ لأن آدم -كما تعلمون- جعله الله تعالى خليفةً لمن؟ لأُناس قبله أو للجن الذي سكنوا الأرض قبله؛ ولهذا لما قال :(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) قالت الملائكة : (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) (البقرة ٣٠) إلى آخره. فدعوى المؤلف رحمه الله أن آدم خُلِقَ في آخر ساعة من يوم الجمعة التي تم فيها خلق السماوات والأرض غير صحيح، نعم خُلِقَ آدمُ يوم جمعة لا شك في ذلك كما ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام ، لكنها ليست الجمعة التي تم بها خلق السماوات والأرض. إذن خلقهن في يومين، يقول المؤلف: إن هذا يوافق (ووافق ما هنا آيات خلق السماوات والأرض في ستة أيام) كيف وافقها؟ لأنَّ أربعة أيام كانت لخلق الأرض، ويومين كانت لخلق السماء فيكون المجموع سِتَّة أيام، وهذا أمر متفق عليه بين المسلمين أن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام، في بعض الآيات يقول :(وَمَا بَيْنَهُمَا) (الفرقان ٥٩) ؛ لأن بين السماوات والأرض من الآيات العظيمة ما استحق أن يكون قسيمًا لخلق السماوات والأرض. (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا) (الفرقان ٥٩) .)) . (تفسير ابن عثيمين) .

تفسير ابن عثيمين : ((الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تعالى :(فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ) (قَضَاهُنَّ) يعني أتمهن، وسنتكلم إن شاء الله عن الآيات بعد الانتهاء منها (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ))(فِي يَوْمَيْنِ) الخميس والجمعة، فرغ منها في آخر ساعة منه وفيها خلق آدم؛ ولذلك لم يقل هنا: سواء، ووافق ما هنا آيات خلق السماوات والأرض في ستة أيام)) . (تفسير ابن عثيمين) .

تفسير ابن عثيمين : ((ومن فوائد الآية الكريمة: أن خلق الأرض قبل خلق السماء؛ لأنه لما ذكر خلق الأرض في أربعة أيام قال: ثم استوى إلى السماء، وهذا كقوله تعالى في سورة البقرة :(هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (البقرة ٢٩) ، ولكن هذا يعارضه ظاهر قوله تعالى :(أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) (النازعات ٢٧ – ٣٠) ، فهنا ذكر أن الأرض دُحيت بعد خلق السماء فهل المراد بالدحو شيء سوى الخلق؟ أو أن البعدية هنا بعدية ذكر، يعني كما يقولون: هذا ترتيب ذكري وليس ترتيبًا زمنيًا؟ في هذا وجهان : الوجه الأول: أن الدحو ليس الخلق بل هو شيء آخر فسره الله بقوله :(أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا) (النازعات ٣١) هذا الدحو، وإخراج الماء والمرعى شيء زائد على الخلق والتكوين . وأما الوجه الثاني: فإن البعدية هنا بعدية ذكر وهو ما يعرف عند علماء النحو بالترتيب الذكري، ومنه قول الشاعر : إِنَّ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ *** ثُمَّ سَادَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ جَدُّهُ . فتجد الآن الترتيب على خلاف الترتيب الزمني لكن هذا يسمى ترتيبًا ذكريًّا، يحتمل وجهين، ولكن الوجه الأول أولى أن يقال: إن الدحو ليس الخلق، الخلق والتكوين شيء والدحو شيء آخر، والدليل أن الله تعالى قال في الدحو مفسرًا إياه قال :(أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا) أفهمتم الآن؟ إذن لا معارضة بين الآيتين؛ لتنزل كل واحدة منهما على وجه لا يعارض الوجه الآخر، واعلم أنه ينبغي للإنسان إذا رأى آيتين ظاهرهما التعارض ألا يسرع في

الحكم بالتعارض؛ لأنه لا يمكن أن تتعارض آيتان من كل وجه كما ذكرنا ذلك في أصول التفسير، ولكن ليتأنى وليتأمل وليفكر، فإن أدرك ألا تعارض فهذا المطلوب وإلا وجب أن يسأل أهل العلم، فإن لم يتبين له الأمر وجب عليه التوقف، وصارت هذه من الآيات المتشابهات التي يجب أن يقول فيها :(آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا) [آل عمران ٧]، وقد ذكرنا لكم فيما مضى أن من العلماء من ألَّف في الآيات التي ظاهرها التعارض وجمع بينها، وذكرت لكم أن من أحسن ما رأيت ما ألفه الشيخ الشنقيطي رحمه الله (دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب) .)) . (تفسير ابن عثيمين) .

٥ ـ الميسر : ((وجعل سبحانه في الأرض جبالًا ثوابت من فوقها، وبارك فيها فجعلها دائمة الخير لأهلها، وقدَّر فيها أرزاق أهلها من الغذاء، وما يصلحهم من المعاش في تمام أربعة أيام: يومان خلق فيهما الأرض، ويومان جعل فيها رواسي وقدر فيها أقواتها، سواء للسائلين أي: لمن أراد السؤال عن ذلك؛ ليعلمه)) . (الميسر ، مجمع الملك فهد) .

٦ ـ الميسر في الغريب : (("فِيّ أَرْبَعَةِ أَيَّام" : أي: في تَتمَّةِ الأيام الأرْبَعَةِ)) . (الميسر في الغريب ـــ مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد) .

ثالثاً : من تفاسير الإباضية :

١ ـ قال اطفيش : (({ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ } باليومين الأولين خلق الأرض في يومين: الأحد والاثنين وقدر الأقوات في يومين الثلاثاء والأربعاء وفيهما خلق كل ما في الارض من جبل وغيره ولم يقل في يومين ليدل على اتصال اليومين باليومين وعلى الفرد لكله أي فذلك كله في أربعة أيام ولو قال في يومين لجاز أن يكون أطلق كلا من اليومين الأولين والآخرين على أكثرهما لان اليومين قد يعلقان على أكثر كذا قيل وفيه أن أربعة كذلك. وعن الزجاج قد اتمت في أربعة أيام وأراد بالتتمة اليومين الأخيرين*)) . (هميان الزاد إلى دار المعاد ، اطفيش) .

وقال اطفيش : (({ لِّلسَّآئِلِينَ } عن مدة خلقها وخلق ما فيها اعتباراً أو تعنتاً وهو خبر لمحذوف أي هذا الحصر للسائلين وعلقه قتادة

بسواء. وقال ابن زيد وجماعة متعلق بقدر على أن معناه الطالبون وهذا يتم على قول الزجاج أن معنى في أربعة في تتمة أربعة كذا قيل وحكي عن ابن زيد والجماعة تعليقه بسواء أي مستو مهيء أمر هذه المخلوقات ونفعها للمحتاجين الطالبين)) . (هميان الزاد إلى دار المعاد ، اطفيش) .

٢ ـ قال اطفيش : ((" في أرْبعةِ أيَّام " متعلق بقدر على مذهب أبى حنيفة فى القيدين متعاطفين، أو متعاطفات أنه يعود الى الاخير، والذى يظهر أنه للكل، لأن عاملها واحد حتى يدل دليل على تخصيص، ويجعل ذلك من باب الحذف، أو من التنازع، واذا لم يصلح العامل لكل على حدة قدر ما يعم، مثل أن يقدر هنا حصل مجموع ذلك فى أربعة أيام، ثم رأيته قولا للشافعى، قال الله تعالى : "خلق الأرض في يومين" (فصلت: ٩) ثم قال: { وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام } ثم قال : "فقضاهن سبع سماوات في يومين" (فصلت: ١٢) وخالف ظاهر ذلك قوله تعالى فى آية أخرى : "في ستة أيام" (الأعراف: ٥٤) الجواب قيل: ان المراد فى تتمة أربعة أيام، وتتمتها يومان، وإلا كانت الأيام ثمانية، وانما هى ستة بزيادة يومين على أربعة، ومثل لذلك بقولك: سرت من البصرة الى بغداد فى عشرة أيام والى الكوفة فى خسمة عشر، تريد تتمة عشرة كذا قيل، وهو تخليط، وانما الجواب ما يجىء بعد ان شاء الله تعالى. وعبارة بعض فى أربعة ايام مع اليومين الأولين المذكورين قبل، ففى المثال خمسة عشر بعد العشرة المذكورة)) . (تيسير التفسير ، اطفيش) .

وقال اطفيش : ((" ثمَّ اسْتَوى إلى السَّماء " أى توجه ارادته الى السماء، وانتهت اليه بالتدبير، يقال: استوى زيد الى كذا بمعنى أنه قصده، ولا يشتغل بغيره { وهِيَ دُخانٌ } شىء مظلم، وهو قيل: مادة من أجزاء فردة تركب السماء منها، ولست أقول بالجواهر المفردة من حيث شرعت فى فن الكلام، ثم رأيت والحمد لله تعالى بعض المحققين من الحنفية قال كما قلت، ويقال: كان عرشه على الماء، فأحدث الله فيه سخونة، فارتفع زبد ودخان، فخلق الله السماوات من الدخان، وقيل: خلق الله ياقوتة خضراء، فذابت لجلال الله بأمره تعالى، فكانت ماء فأزبد فارتفع منه دخان، فخلق منه السماوات، وله أن يخلق ما شاء مما شاء، ويخلق ما شاء من غير شىء، وليس الدخان دخان نار، لأن النار لما تخلق حينئذ وهب أنها خلقت لكن ليس ذلك دخانها. وظاهر الآية أن الأرض قبل السماء، وقد قال : "والأرض بعد ذلك دحاها" (النازعات: ٣٠) وهو يدل على تأخيرها، والجواب: أن خلق جرم الأرض متقدم

على خلق السماء، ودحوها متأخر، ويجوز أن يكون السماء قبل الأرض فيكون المعنى قضى أن يحدث الأرض فى يومين بعد احداث السماء. " فقال لها وللأرض ائتيا " بما أودعت فيكما من المنافع وأحضراه، والأمر للتسخير، وليس المعنى أحدثا، فانه قد ذكر حدوثهما قبل إلا أن يقال الفاء للترتيب الذكرى، فيكون الأمر للتكوين، أو قضاهن سبع سماوات، معطوف على استوى الى السماء فى نية الاتصال، وقال لها وللأرض الخ فى نية التأخير عن قضاهن الخ، والمراد اتيانهما بما فيهما، وذكر الاستواء للسماء ولم يذكره للأرض اكتفاء بأنه قدرها، وقدر ما فيها، وقيل: اتيان السماء حدوثها، واتيان الأرض دحوها، تشبيها للخروج من العدم، ودحوا الأرض بالاتيان من مكان، وقيل: لتأت كل منهما الأخرى فيما أريد منهما أمرا بالمواتاة بمعنى الموافقة، فذلك مفاعلة لقراءة ابن عباس آتيا، وقالتا آتينا بالمد من الايتاء بمعنى الموافقة، وليس بلازم لجواز أن الايتاء فى قراءة ابن عباس المسارعة، كما فسرها ابن جنى، أو بمعنى اعطاء أى أعطيا ما أردت منكما)) . (تيسير التفسير ، اطفيش **) .**

٣ ـ قال الهواري : (({ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ }: أي في تتمة أربعة أيام. { سَوَآءً لِّلسَّائِلِينَ } أي: لمن كان سائلاً عن ذلك. وقال بعضهم: لمن يسأل الرزق وهي تقرأ على وجه آخر: { فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٍ لِّلسَّائِلِينَ } أي: مستويات، يعني الأيام. واليوم منها ألف سنة، كقوله : "وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ" (الحج : ٤٧) . أي : خلق الأرض في يومين، وقدر الأقوات في يومين، ثم جمع الأربعة الأيام فقال: "فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ".)) . (تفسير كتاب الله العزيز ، الهواري) .

رابعاً : من تفسير المعتزلة :

قال الزمخشري : ((كأنه قال: كل ذلك في أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان. قيل: خلق الله الأرض في يوم الأحد ويوم الاثنين، وما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء. وقال الزجاج. في أربعة أيام في تتمة أربعة أيام، يريد بالتتمة اليومين. وقرئ: سواء، بالحركات الثلاث: الجر على الوصف والنصب على: استوت سواء، أي: استواء: والرفع على: هي سواء. فإن قلت: بم تعلق قوله لِلسَّائِلِينَ؟ قلت: بمحذوف، كأنه قيل: هذا الحصر لأجل من سأل: في كم خلقت الأرض وما فيها؟ أو يقدر: أي: قدر فيها الأقوات لأجل

الطالبين لها المحتاجين إليها من المقتاتين. وهذا الوجه الأخير لا يستقيم إلا على تفسير الزجاج . فإن قلت: هلا قيل في يومين؟ وأى فائدة في هذه الفذلكة؟ قلت: إذا قال في أربعة أيام وقد ذكر أن الأرض خلقت في يومين، علم أن ما فيها خلق في يومين، فبقيت المخايرة بين أن تقول في يومين وأن تقول في أربعة أيام سواء، فكانت في أربعة أيام سواء فائدة ليست في يومين، وهي الدلالة على أنها كانت أياما كاملة بغير زيادة ولا نقصان. ولو قال: في يومين- وقد يطلق اليومان على أكثرهما- لكان يجوز أن يريد باليومين الأولين والآخرين أكثرهما)) . (الكشاف للزمخشري) .
وقال الزمخشري : ((قيل خلق الله السماوات وما فيها في يومين: في يوم الخميس والجمعة، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة، فخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة. وفي هذا دليل على ما ذكرت، من أنه لو قيل: في يومين في موضع أربعة أيام سواء، لم يعلم أنهما يومان كاملان أو ناقصان فإن قلت: فلو قيل: خلق الأرض في يومين كاملين وقدر فيها أقواتها في يومين كاملين. أو قيل بعد ذكر اليومين: تلك أربعة سواء؟ قلت: الذي أورده سبحانه أخصر وأفصح وأحسن طباقا لما عليه التنزيل من مغاصاة القرائح ومصاك المركب،)٨ (ليتميز الفاضل من الناقص، والمتقدم من الناكص، وترتفع الدرجات، ويتضاعف الثواب أَمْرَها ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك. أو شأنها وما يصلحها وَحِفْظاً وحفظناها حفظا، يعنى من المسترقة بالثواقب. ويجوز أن يكون مفعولا له على المعنى، كأنه قال: وخلقنا المصابيح زينة وحفظا)) . (الكشاف للزمخشري) .

خامساً : من تفاسير الزيدية :

قال الأعقم : ((" بالذي خلق الأرض في يومين " يعني مقدار يومين { وتجعلون له أنداداً } أمثالاً وأشباهاً تعبدونها { ذلك رب العالمين } يعني الذي خلق الأرض هذا خالق العالمين دون الأنداد { وجعل فيها رواسي من فوقها } جبالاً ثوابت { وبارك فيها } خلق فيها من المنافع التي لا تحصى { وقدّر فيها أقواتها } أرزاق أهلها

ومعايشهم وما يصلحهم، وفي قراءة ابن مسعود: وقسم فيها أقواتها { في أربعة أيام سواء } خلق الأرض وما فيها مستوية كاملة لا فيها نقصان، قيل: خلق الله الأرض في يوم الأحد ويوم الاثنين وباقيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء { للسائلين } الله حوائجهم، وقيل: كل ذلك بيان لما خلق للسائلين، وقيل: السائلين وغير السائلين { ثم استوى إلى السماء } أي قصد إلى خلق السماء، قيل: كان عرشه قبل خلق السماوات والأرض على الماء فأخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء وعلا عليه فأيبس الماء فجعله أرضاً واحدة، ثم فتقها فجعلها أرضين، ثم خلق السماء من الدخان المرتفع، ومعنى أمر السماء والأرض بالاتيان وامتثالهما أنه أراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه فوجدتا كما أرادهما فكانتا كذلك كالمأمون المطيع وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل { فقضاهن } أي تممهن { سبع سماوات في يومين } وفي خبر مرفوع أن الله تعالى خلق الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والعمران والخراب، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة والجن، وخلق آدم في آخر ساعة يوم الجمعة وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة، وقيل: إنما سميت الجمعة لاجتماع خلق السماوات والأرض وما فيها في ذلك الوقت، ومتى قيل: إذا قدر على أن يخلقها في طرفة عين فلم خلقها في هذه المدة؟ قالوا: ليعتبر فيها الملائكة فإنه أبلغ في الأدلة على قدرته، وقيل: ليعلم عباده أن الأناة خير من العجلة، وقيل: ليعلم الملائكة كيفية الترتيب والجمع والتفريق { وأوحى في كل سماء أمرها }، إلى أهل كل سماء أمرها من الملائكة ما تعدهم من أمره ونهيه { وزيّنا } السماء الدنيا { بمصابيح }، قيل: بالنجوم { وحفظاً } لها من استراق السمع من الشياطين { ذلك } أي ما تقدم ذكره { تقدير العزيز العليم } الذي لا يمتنع عليه شيء)) . (تفسير الأعقم).

سادساً : من تفاسير الاثنى عشرية :

١ ـ قال الطبرسي : (("وجعل فيها" أي في الأرض { رواسي } أي جبالاً راسيات ثابتات { من فوقها } أي من فوق الأرض { وبارك فيها }

بما خلق فيها من المنافع. وقيل: بأن أنبت شجرها من غير غرس وأخرج نبتها من غير زرع وبذر وأودعها مما ينتفع به العباد عن السُدّي { وقدّر فيها أقواتها } أي قدّر في الأرض أرزاق أهلها على حسب الحاجة إليها في قوام أبدان الناس وسائر الحيوان. وقيل: قدّر في كل بلدة منها ما لم يجعله في أخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد إلى بلد { في أربعة أيام } أي في تتمّة أربعة أيام من حين ابتداء الخلق فاليومان الأولان داخلان فيها كما تقول خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام وإلى الكوفة في خمسة عشر يوماً أي في تتمّة خمسة عشر يوماً . "سواء للسائلين" أي مستوية كاملة من غير زيادة ولا نقصان للسائلين عن مدّة خلق الأرض. وقيل: معناه للذين يسألون الله أرزاقهم ويطلبون أقواتهم فإن كلاً يطلب القوت ويسأله عن قتادة والسدّي

واختلف في علّة خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام فقيل إنّما خلق ذلك شيئاً بعد شيء في هذه الأيام الأربعة ليعلم الخلق أنّ من الصواب التأنّي في الأمور وترك الاستعجال فيها فإنّه سبحانه كان قادراً على أن يخلق ذلك في لحظة واحدة عن الزجاج. وقيل: إنما خلق ذلك في هذه المدّة ليعلم بذلك أنها صادرة عن قادر مختار عالم بالمصالح وبوجوه الأحكام إذ لو صدرت عن مطبوع أو موجب لحصلت في حالة واحدة وروى عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال" :إنّ الله تعالى خلق الأرض في يوم الأحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق الشجر والماء والعمران والخراب يوم الأربعاء فتلك أربعة أيام وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة الشمس والقمر والنجوم والملائكة وآدم ")) . (مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي) .

٢ ـ قال الطوسي : ((وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين } روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال" إن الله خلق الارض يوم الأحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق الشجر والماء والعمران والخراب يوم الأربعاء فتلك أربعة ايام وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة الشمس والقمر والنجوم والملائكة وآدم . "وقال الحسن والسدي: وابن زيد { قدر فيها أقواتها } أي ارزاقها. وقال قتادة: معناه قدر فيها ما فيه صلاحها. قال ابو عبيدة: الأقوات جمع قوت وهي أرزاق الخلق وما يحتاجون اليه. وقيل: إنما خلق ذلك شيئاً بعد شيء فى هذه الأربعة ايام لتعتبر به الملائكة وقيل: لاعتبار العباد فى الاخبار عن ذلك إذا تصوروه على تلك الحال. وقال الزجاج: الوجه فيه تعليم الخلق التأني في الامور وألا يستعجلوا فيها بأن الله تعالى كان قادراً على ان يخلق ذلك

في لحظة. لكن خلقها في هذه المدة لما قلنا. وقال قوم إنما خلق ذلك في هذه المدة ليعتبروا بذلك على انها صادرة من قادر مختار عالم بالمصالح وبوجوه الاحكام إذ لو كان صادراً عن مطبوع او موجب لحصلت في حالة واحدة. وقال الزجاج: { في أربعة أيام } معناه في تتمة اربعة أيام)). (التبيان الجامع لعلوم القرآن ، الطوسي) .

٣ ـ قال علي بن إبراهيم القمي : (("وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها " أي: لا يزول ويبقى { في أربعة أيام سواء للسائلين } يعني في أربعة أوقات وهي التي يخرج الله فيها أقوات العالم من الناس والبهائم والطير وحشرات الأرض وما في البر والبحر من الخلق والثمار والنبات والشجر وما يكون فيه معاش الحيوان كله وهو الربيع والصيف والخريف والشتاء، ففي الشتاء يرسل الله الرياح والأمطار والأنداء والطلول من السماء فيلقح الأرض والشجر وهو وقت بارد ثم يجيء من بعده الربيع وهو وقت معتدل حار وبارد فيخرج الشجر ثماره والأرض نباتها فيكون أخضر ضعيفاً ثم يجيء من بعده وقت الصيف وهو حار فينضج الثمار ويصلب الحبوب التي هي أقوات العالم وجميع الحيوان ثم يجيء من بعده وقت الخريف فيطيبه ويبرده ولو كان الوقت كله شيئاً واحداً لم يخرج النبات من الأرض لأنه لو كان الوقت كله ربيعاً لم تنضج الثمار ولم تبلغ الحبوب ولو كان الوقت كله صيفاً لاحترق كل شيء في الأرض ولم يكن للحيوان معاش ولا قوت، ولو كان الوقت كله خريفاً ولم يتقدمه شيء من هذه الأوقات لم يكن شيء يتقوت به العالم، فجعل الله هذه الأقوات في هذه الأربعة الأوقات في الشتاء والربيع والصيف والخريف وقام به العالم واستوى وبقي وسمى الله هذه الأوقات أياماً سواء للسائلين يعني المحتاجين لأن كل محتاج سائل وفي العالم من خلق الله من لا يسأل ولا يقدر عليه من الحيوان كثير فهم سائلون وإن لم يسألوا)) . (تفسير القرآن ، علي بن إبراهيم القمي) .

٤ ـ قال الطبطبائي : ((وقوله: { وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين } قيل: الظرف أعني قوله: { في أربعة أيام } بتقدير مضاف وهو متعلق بقدّر، والتقدير قدر الأقوات في تتمة أربعة أيام من حين بدء الخلق ـ فيومان لخلق الأرض ويومان ـ وهما تتمة أربعة أيام ـ لتقدير الأقوات. وقيل: متعلق بحصول الأقوات وتقدير المضاف على حاله، والتقدير قدّر حصول أقواتها في تتمة أربعة أيام ـ فيها خلق الأرض وأقواتها جميعاً.ـ وقيل: متعلق بحصول جميع الأمور المذكورة من جعل الرواسي من فوقها والمباركة فيها وتقدير أقواتها والتقدير وحصول ذلك كله في تتمة أربعة أيام وفيه حذف وتقدير كثير. وجعل الزمخشري في الكشاف الظرف متعلقاً بخبر مبتدأ محذوفين من غير تقدير مضاف والتقدير كل ذلك كائن في أربعة أيام فيكون قوله: { في أربعة أيام } من قبيل الفذلكة كأنه قيل: خلق الأرض في يومين وأقواتها وغير ذلك في يومين فكل ذلك في أربعة أيام. قالوا: وإنما لم يجز حمل الآية على أن جعل الرواسي وما ذكر عقيبه أو تقدير الأقوات في أربعة أيام لأن لازمه كون خلق الأرض وما فيها في ستة أيام وقد ذكر بعده أن السماوات خلقت في يومين فيكون المجموع ثمانية أيام وقد تكرر في كلامه تعالى أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام فهذا هو الوجه في حمل الآية على أحد الوجوه السابقة على ما فيها من ارتكاب الحذف والتقدير. والإنصاف أن الآية أعني قوله: { وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين } ظاهرة في غير ما ذكروه والقرائن الحافة بها تؤيد كون المراد بها تقدير أقواتها في الفصول الأربعة التي يكوّنها ميل الشمس الشمالي والجنوبي بحسب ظاهر الحس فالأيام الأربعة هي الفصول الأربعة. والذي ذكر في هذه الآيات من أيام خلق السماوات والأرض أربعة أيام يومان لخلق الأرض ويومان لتسوية السماوات سبعاً بعد كونها دخاناً وأما أيام الأقوات فقد ذكرت أياماً لتقديرها لا لخلقها، وما تكرر في كلامه تعالى هو خلق السماوات والأرض في ستة أيام لا مجموع خلقها وتقدير أمرها

فالحق أن الظرف قيد للجملة الأخيرة فقط ولا حذف ولا تقدير في الآية والمراد بيان تقدير أقوات الأرض وأرزاقها في الفصول الأربعة من السنة)) . (الميزان في تفسير القرآن ، الطبطبائي) .
٥ ـ قال الفيض الكاشاني : (((10) " وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا " واكثر خيرها { وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِى أَرْبَعَةِ أَيّام سَوَاءً لِلسّائِلِينَ } القمّي معنى يومين اي وقتين ابتداء الخلق وانقضائه قال وبارك فيها وقدّر فيها اقواتها اي لا تزول وتبقى في اربعة ايّام سواء يعني في اربعة أوقات وهي التي يخرج الله عزّ وجلّ فيها اقوات العالم من الناس والبهائم والطير وحشرات الأرض وما في البرّ والبحر من الخلق من الثمار والنبات والشجر وما يكون فيها معاش الحيوان كلّه وهو الربيع والصيف والخريف والشتاء ففي الشتاء يرسل الله الرياح والامطار والانداد والطلول من السماء فيلقح الأرض والشجرة وهو وقت بارد ثم يجيء بعد الربيع وهو وقت معتدل حارّ وبارد فيخرج الثمر من الشجر والارض نباتها فيكون اخضر ضعيفاً ثمّ يجيء وقت الصيف وهو حار فينضج الثمار ويصلب الحبوب التي هي اقوات العالم وجميع الحيوان ثمّ يجيء بعد وقت الخريف فيطيبه ويبرده ولو كان الوقت كلّه شيئاً واحداً لم يخرج النبات من الارض لأنّه لو كان الوقت كلّه ربيعاً لم ينضج الثمار ولم يبلغ الحبوب ولو كان كلّه صيفاً لاحترق كلّ شيء في الأرض ولم يكن للحيوان معاش ولا قوت ولو كان الوقت كلّه خريفاً ولم يتقدّمه شيء من هذه الأوقات لم يكن شيء يتقوّته العالم فجعل الله هذه الأقوات في أربعة اوقات في الشتاء والربيع والصيف والخريف وقام به العالم واستوى وبقي وسمّى الله هذه الأوقات ايّاماً للسّائلين يعني المحتاجين لأنّ كلّ محتاج سائل وفي العالم من خلق الله من لا يسأل ولا يقدر عليه من الحيوان كثير فهم سائلون وان لم يسألوا)) . (الصافي في تفسير كلام الله الوافي ، الفيض الكاشاني) .
٦ ـ قال هاشم الحسيني البحراني : ((" أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ " و معنى يومين أي وقتين: ابتداء الخلق و انقضاؤه { وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا } أي لا يزول و لا يفنى { فِيۤ أَرْبَعَةِ أَيَّام سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ } يعني في أربعة أوقات، و هي التي يخرج الله فيها أقوات العالم، من الناس و البهائم و الطير و حشرات و الأرض و ما في البر و البحر من الخلق و الثمار و النبات و الشجر و ما يكون فيه معاش الحيوان كله، و هو الربيع و الصيف و الخريف و الشتاء. ففي الشتاء يرسل الله الرياح و الأمطار و الأنداء و الطلول من السماء فيسقي الأرض و الشجر، و هو وقت بارد، ثم يجيء بعده الربيع و هو وقت الخريف و معتدل حار و بارد، فيخرج الشجر ثماره، و الأرض نباتها، فيكون أخضر ضعيفا ثم يجيء من بعده وقت الصيف [و هو حار]، فينضج الثمار، و يصلب الحبوب التي هي أقوات العباد و جميع الحيوان، ثم يجيء من بعده وقت الخريف فيطيبه و يبرده، و لو كان الوقت كله شيئا واحدا، لم يخرج النبات من الأرض، لأن الوقت لو كان كله ربيعا لم تنضج الثمار و لم تبلغ الحبوب، و لو كان الوقت كله صيفا لاحترق كل شيء في الأرض، و لم يكن للحيوان معاش و لا قوت، و لو كان الوقت كله خريفا، و لم يتقدمه شيء من هذه الأوقات، لم يكن شيء يتقوت به العالم، فجعل الله هذه الأقوات في هذه الأربعة أوقات: في الشتاء و الربيع و الصيف و الخريف، و قام به العالم و استوى و بقي، و سمى [الله] هذه الأوقات أياما سواء للسائلين. يعني المحتاجين، لأن كل محتاج سائل، و في العالم من خلق الله من لا يسأل و لا يقدر عليه من الحيوان كثير، فهم سائلون، و إن لم يسألوا. وقوله: { ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ } أي دبر و خلق و قد سئل أبو الحسن الرضا (عليه السلام)عمن كلم الله لا من الجن و لا من الإنس، فقال: "السماوات و الأرض، في قوله تعالى: " ٱئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ" . "فَقَضَٰهُنَّ" أي خلقهن { سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ فِي يَوْمَيْنِ } يعني في وقتين ابتداء و انقضاء { وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا } فهذا وحي تقدير و تدبير { وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ } يعني بالنجوم { وَحِفْظاً } يعني من الشياطين أن تخرق السماء. [2] 9408/
ـ محمد بن يعقوب: عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن عبد الله

بن سنان، قال: سمعت أبا عبد الله(عليه السلام) يقول: "إن الله خلق الخير يوم الأحد، و ما كان ليخلق الشر قبل الخير، و في يوم الأحد و الاثنين خلق الأرضين، و خلق أقواتها في يوم الثلاثاء، و خلق السماوات يوم الأربعاء و يوم الخميس، و خلق أقواتها يوم الجمعة، و ذلك قول الله عز و جل : "خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّام" (السجدة: ٤) .)) .
(البرهان في تفسير القرآن ، هاشم الحسيني البحراني) .

ومن تفسير الصوفية :

١ ـ قال مكي بن أبي طالب : ((وقوله :(فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ)، أي: خلق (ذا وذلك) في أربعة أيام؛ أي: خلق الأرض والجبال، وبارك في الأرض وقدر فيها أقواتها، كل ذلك خلقه في أربعة أيام، أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الأربعاء . وقد غلط قوم فأضافوا أربعة أيام كاملة إلى اليومين المتقدمين. وهذا كقولك: بنيت الدار في يومين وأتممتها وفرغت من جميع إصلاحها في ثمانية أيام، فاليومان داخلان في الثمانية وبهما تمت الثمانية (لأنها) (كلها كشيء) واحد كما كانت الأرض وما فيها من مصالحها شيئاً واحداً. فدخلت العدة الأولى في الثمانية . ولو قلت: اشتريت الدار في يومين، والعبيد والثياب في أربعة أيام، لم تدخل اليومان في الأربعة لاختلاف أنواع المشترى، ولا يكون ذلك إلا ستة أيام. فاعرف الفرق)) . (تفسير مكّي) .

٢ ـ قال إسماعيل حقي : ((" فى اربعة أيام " من ايام الآخرة او من ايام الدنيا كما سبق وهو متعلق بحصول الامور المذكورة لا بتقديرها اى قدر حصولها فى يومين يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء على ما سيأتى. وانما قيل فى اربعة ايام اى تتمة اربعة ايام بالفذلكة ومجموع العدد لانه باليومين السابقين يكون اربعة ايام كأنه قيل نصب الراسيات وتقدير الاقوات وتكثير الخيرات فى يومين آخرين بعد خلق الارض فى يومين وانما لم يحمل الكلام على ظاهره بان يجعل خلق الارض فى يومين وما فيها فى اربعة ايام لانه قد ثبت ان خلق السموات فى يومين فيلزم ان يكون خلق المجموع فى ثمانية ايام وليس كذلك فانه فى ستة ايام على ما تكرر ذكره فى القرآن. وذكر فى البرهان انما لم يذكر اليومين على الانفراد لدقيقة لا يهتدى اليها كل احد وهى ان قوله " خلق الارض فى يومين" صلة الذى " وتجعلون له اندادا " عطف على تكفرون { وجعل

فيها رواسى } عطف على قوله "خلق الارض" وهذا ممتنع فى الاعراب لا يجوز فى الكلام وهو فى الشعر من اقبح الضرورات لا يجوز ان يقول جاءنى الذى يكتب وجلس ويقرأ لانه لا يحال بين صلة الموصول وما يعطف عليه باجنبى من الصلة فاذا امتنع هذا لم يكن بد من اضمار فعل يصح الكلام به ومعه فتضمن خلق الارض بعد قوله ذلك رب العالمين خلق الارض وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام ليقع هذا كله فى اربعة ايام انتهى.)) . (روح البيان في تفسير القرآن ، إسماعيل حقي) .

٣ ـ قال ابن عجيبة : (("في أربعةِ أيام" أي: تتمة أربعة أيام، يومين للخلق، ويومين لتقدير الأقوات، كما تقول: سِرت إلى البصرة في عشرة، وإلى الكوفة في خمسة عشر، أي: في تتمة خمسة عشر، ولو أجري الكلام على ظاهرة لكانت ثمانية أيام؛ يومين للخلق؛ وأربعة للتقدير، ويومين لخلق السماء، وهو مناقض لقوله : "فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ " (الأعراف: ٥٤) .)) . (البحر المديد في تفسير القرآن المجِيد ، لابن عجيبة) .

وقال ابن عجيبة : ((ويفهم منه أن خلق السماء بعد الأرض، وهو كذلك، وأما دحو الأرض وتقدير أقواتها فمؤخر عن السماء، كما صرح في قوله : "وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَآ " (النازعات: ٣٠) ، والترتيب في الخارج: أنه خلق الأرض، ثم خلق السماء، ثم دحا الأرض في يومين، فـ "ثم" للتفاوت بين الخلقين لا للترتيب، أو: للتفاوت في المرتبة، ترقياً من الأدنى إلى الأعلى، كقول القائل: إِنْ مَنْ ساد ثم ساد أبوهثم [قد] ساد بعد ذلك جَدُّه)) . (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، لابن عجيبة) .

٤ ـ قال ابن عربي : ((" قُلْ أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين " أي: في حادثين كما ذكر أنّ اليوم معبّر به عن الحادث لنسبته إليه في قولهم: الحوادث اليومية لتشابهها في الظهور والخفاء، وهما الصورة والمادّة { وبارك فيها } أي: أَكْثَرَ خيرها { وقدَّر فيها } معايشها وأرزاقها { في أربعة أيام } هي الكيفيات الأربع والعناصر الأربعة التي خلق منها المركبات بالتركيب

والتعديل { سواء } مستوية بالامتزاج والاعتدال للطالبين للأقوات والمعايش، أي: قدّرها لهم { ثم استوى إلى السماء } أي:قصد إلى إيجادها وثم للتفاوت بين الخلقين في الإحكام وعدمه، واختلافهما في الجهة والجوهر لا للتراخي في الزمان إذ لا زمان هناك { وهي دخان } أي: جوهر لطيف بخلاف الجواهر الكثيفة الثقيلة الأرضية { فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً } أي: تعلق أمره وإرادته بإيجادهما فوجدتا في الحال معاً كالمأمور المطيع إذ ورد عليه أمر الآمر المطاع لم يلبث في امتثاله، وهو من باب التمثيل إذ لا قول ثمة)) . (تفسير القرآن ، ابن عربي) .

الفصل السابع : التفسير بالآثار الباطلة

إن من أسباب الخطأ في الفهم والتفسير : ترك تفسير القرآن بالقرآن ، ثم الركون إلى الأكاذيب والإسرائيليات ، مثل الأثر الباطل الذي رواه مسلم في صحيحه .

صحيح مسلم : (٥٠٠٢)- [٢٧٩٢] حَدَّثَنِي سُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ، وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أُمَيَّةَ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَافِعٍ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِيَدِي، فَقَالَ: " خَلَقَ اللَّهُ عز وجل التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَام بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ الْخَلْقِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ، فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ "، قَالَ إِبْرَاهِيمُ: حَدَّثَنَا الْبِسْطَامِيُّ وَهُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ عِيسَى، وَسَهْلُ بْنُ عَمَّارٍ، وَإِبْرَاهِيمُ ابْنُ بِنْتِ حَفْصٍ، وَغَيْرُهُمْ عَنْ حَجَّاجٍ بِهَذَا الْحَدِيثِ .

علل السند :

١ ـ مسلم ، وهو مدلس .

٢ ـ حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ (الحجاج بن محمد المصيصي) ، وقد اختلط .

وذكره أبو العرب القيرواني في الضعفاء .

٣ ـ ابن جريج المكي (عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج) ، وهو يرسل ويدلس .

وقيل فيه : يدلس ويرسل ، قبيح التدليس ، لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح ، حاطب ليل .

٤ ـ أيوب بن خالد الأنصاري (أيوب بن خالد بن صفوان بن أوس بن جابر بن قرط بن قيس) :

قال أبو الفتح الأزدي : ليس حديثه بذاك ، تكلم فيه أهل العلم بالحديث .

قال ابن حجر في التقريب : فيه لين .

وكان يحيى بن سعيد القطان لا يكتب حديثه .

٥ ـ أبو هريرة ، وهو مدلس ، وكان يتأول التصريح بالسماع ، مضطرب ، متهم ، ولم يكن من أصحاب النبي ـ عليه السلام ـ .

انظر فصل "أبو هريرة" .

٦ ـ التفرد .

٧ ـ عدم تصريح بعض الرواة بالسماع .

٨ ـ عدم ثبوت صحة التحمل والأداء .

والعجيب أن البخاري حكم على هذا الأثر بأنه من كلام كعب الأحبار اي أنه من الإسرائيليات ، ثم يأتي تلميذه مسلم ويضع هذا الأثر الباطل في صحيحه ، وينسبه إلى النبي عليه السلام !

ولقد ذهب يحيى بن معين وعبد الرحمن بن مهدي والبخاري وغيرهم إلى أنه غلط ، وأنه ليس من كلام النبي عليه السلام ، بل صرح البخاري في تاريخه الكبير بأنه من كلام كعب الأحبار .

وممن ذهب إلى هذا أيضاً ابن تيمية وتلميذه ابن القيم .

ومن المعاصرين من يرى أنه من الإسرئيليات مثل : ابن باز وابن عثيمين رحمهما الله .

أما الألباني والحويني ـ رحمهما الله ـ فكانا متساهلين .

للتفصيل انظر رسالتي "بطلان الآثار المخالفة والناسخة والمكملة ، فصل بطلان أثر" خَلَقَ اللَّهُ عز وجل التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ" .

كما اعتمد المفسرون قديماً وحديثاً على الآثار الباطلة وتركوا المعنى الأصلي وظاهر الآيات .

قال السيوطي : ((أخرج ابن جرير والنحاس في ناسخه وأبو الشيخ في العظمة والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس رضي الله عنهما، " أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض فقال: خلق الله الأرض يوم الأحد والإثنين، وخلق الجبال وما فيهن من منافع يوم الثلاثاء، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب، فهذه أربعة فقال تعالى { قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين } وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقين منه. فخلق في أول ساعة من هذه الثلاثة الآجال حين يموت من مات. وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء من منتفع به. وفي الثالثة خلق آدم وأسكنه الجنة، وأمر إبليس بالسجود له، وأخرجه منها في آخر ساعة قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قال: ثم استوى على العرش قالوا: لقد أصبت لو أتممت. ثم قالوا: استراح. فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضباً شديدا. فنزل { ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب، فاصبر على ما يقولون } [ق: ٣٨]. "

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله { وقدر فيها أقواتها } قال: شق الأنهار، وغرس الأشجار، ووضع الجبال، وأجرى البحار، وجعل في هذه ما ليس في هذه، وفي هذه ما ليس في هذه. وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله { وقدر فيها أقواتها } قال: قدر في كل أرض شيئاً لا يصلح في غيرها. وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة في قوله { وقدر فيها أقواتها } قال: لا يصلح النيسابوري إلا بنيسابور، ولا ثياب اليمن إلا باليمن. وأخرج عبد الرزاق عن الحسن { وقدر فيها أقواتها } قال: أرزاقها. وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة في قوله { سواء للسائلين } قال: من سأل فهو كما قال الله. وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن ابن عباس قال:

خلق الله السموات من دخان، ثم ابتدأ خلق الأرض يوم الأحد ويوم الإثنين فذلك قول الله تعالى { قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين... وقدر فيها أقواتها } في يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء فذلك قوله { وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين، ثم استوى إلى السماء وهي دخان } فسمكها وزينها بالنجوم والشمس والقمر وأجراهما في فلكهما، وخلق فيها ما شاء من خلقه وملائكته يوم الخميس ويوم الجمعة، وخلق الجنة يوم الجمعة، وخلق اليهود يوم السبت لأنه يسبت فيه كل شيء، وعظمت النصارى يوم الأحد لأنه ابتدىء فيه خلق كل شيء، وعظم المسلمون يوم الجمعة لأن الله فرغ فيه من خلقه، وخلق في الجنة رحمته، وجمع فيه آدم عليه السلام، وفيه هبط من الجنة، وفيه قبلت توبته وهو أعظمها. وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس قال: إن الله تعالى خلق يوماً فسماه الأحد، ثم خلق ثانياً فسماه الاثنين، ثم خلق ثالثاً فسماه الثلاثاء، ثم خلق رابعاً فسماه الأربعاء، وخلق خامساً فسماه الخميس، فخلق الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، ولذلك يقول الناس إنه يوم ثقيل، كذلك وخلق مواضع الأنهار والشجر والقرى يوم الأربعاء، وخلق الطير والوحش والسباع والهوام والآفة يوم الخميس، وخلق الإنسان يوم الجمعة، وفرغ من الخلق يوم السبت. وأخرج أبو الشيخ عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: إن الله تعالى ابتدأ الخلق وخلق الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الأقوات والرواسي يوم الثلاثاء والأربعاء، وخلق السموات يوم الخميس والجمعة إلى صلاة العصر، وخلق آدم عليه السلام في تلك الساعة التي لا يوافقها عبد يدعو ربه إلا استجاب له، فهو ما بين صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس. وأخرج أبو الشيخ عن عكرمة رضي الله عنه" أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: ما يوم الأحد؟ قال: خلق الله فيه الأرض قالوا: فيوم الأربعاء؟ قال: الأقوات قالوا: فيوم الخميس؟ قال: فيه خلق الله السموات قالوا: فيوم الجمعة؟ قال: خلق في ساعتين الملائكة، وفي ساعتين الجنة والنار، وفي ساعتين الشمس والقمر والكواكب، وفي ساعتين الليل والنهار قالوا: ألست تذكر الراحة فقال سبحان الله..! فأنزل الله { ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب } [ق: ٣٨]. "

وأخرج أبو الشيخ من وجه آخر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "" إن الله تعالى فرغ من خلقه في ستة أيام. أولهن يوم الأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، والجمعة، خلق يوم الأحد السموات، وخلق يوم الاثنين الشمس والقمر،

وخلق يوم الثلاثاء دواب البحر ودواب الأرض وفجر الأنهار وقوت الأقوات، وخلق الأشجار يوم الأربعاء، وخلق يوم الخميس الجنة والنار، وخلق آدم عليه السلام يوم الجمعة، ثم أقبل على الأمر يوم السبت" . وأخرج ابن جرير عن أبي بكر رضي الله عنه قال: جاء اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد أخبرنا ما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستة؟ فقال: " خلق الله الأرض يوم الأحد والإثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وخلق المدائن والاقوات والأنهار وعمرانها وخرابها يوم الأربعاء، وخلق السموات والملائكة يوم الخميس إلى ثلاث ساعات يعني من يوم الجمعة، وخلق في أول ساعة الآجال، وفي الثانية الآفة، وفي الثالثة آدم، قالوا: صدقت أن تممت فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ما يريدون فغضب، فأنزل الله { وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون } [ق: ٣٨] ")) . (الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، السيوطي) .

موسوعة التفسير بالمأثور ـ معهد الشاطبي : (((قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ) - تفسير ٦٨٣١٩ -عن أبي بكر، قال: جاء اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا: يا محمد، أخبِرنا ما خلَق الله مِن الخلْق في هذه الأيام الستة؟ فقال» :خلَق الله الأرضَ يوم الأحد والاثنين، وخلَق الجبال يوم الثلاثاء، وخلَق المدائن والأقوات والأنهار وعُمرانها وخرابها يوم الأربعاء، وخلَق السماوات والملائكة يوم الخميس إلى ثلاث ساعات .«يعني: من يوم الجمعة» .وخلَق في أول ساعة الآجال، وفي الثانية الآفة، وفي الثالثة آدم .«قالوا: صدقتَ إن تَمَّمْتَ. فعرف النبيُّ صلى الله عليه وسلم ما يريدون؛ فغضب؛ فأنزل الله :(وما مَسَّنا مِن لُغُوبٍ فاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ . ٦٨٣٢٠ -عن عبد الله بن عباس: أنّ اليهود أتت النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فسألَتْه عن خلْق السماوات والأرض، فقال» :خلَق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلَق الجبال وما فيهن مِن منافع يوم الثلاثاء، وخلَق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب، فهذه أربعة، فقال تعالى: (قُلْ أئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وتَجْعَلُونَ لَهُ أنْدادًا ذَلِكَ رَبُّ العالَمِينَ وجَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِن فَوْقِها وبارَكَ فِيها وقَدَّرَ فِيها أقْواتَها

فِي أرْبَعَةِ أيّام سَواءً لِلسّائِلِينَ) .وخلَق يوم الخميس السماء، وخلَق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بَقِين منه؛ فخلَق في أول ساعة من هذه الثلاثة الآجال حين يموت من مات، وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس، وفي الثالثة خلَق آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له، وأخرجه منها في آخر ساعة .«قالت اليهود: ثم ماذا، يا محمد؟ قال» :ثم استوى على العرش .«قالوا: قد أصبتَ لو أتممتَ. قالوا: ثم استراح. فغضب النبيُّ صلى الله عليه وسلم غضبًا شديدًا؛ فنزل :(ولَقَدْ خَلَقْنا السَّماواتِ والأَرْضَ وما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أيّام وما مَسَّنا مِن لُغُوبٍ فاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ ٦٨٣٢١ -عن عبد الله بن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال» :إنّ الله تعالى فرغ مِن خلْقه في ستة أيام؛ أولهن يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة، خلَق يوم الأحد السماوات، وخلَق يوم الاثنين الشمس والقمر والنجوم، وخلَق يوم الثلاثاء دوابّ البحر ودوابّ البر، وفجَّر الأنهار، وقوّت الأقوات، وخلَق الأشجار يوم الأربعاء، وخلَق يوم الخميس الجنة والنار، وخلَق آدم يوم الجمعة، ثم أقبل على الأمر يوم السبت ٦٨٣٢٢ -عن أبي هريرة، قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي، فقال» :خلَق الله التُّربةَ يوم السبت، وخلَق فيها الجبالَ يوم الأحد، وخلَق الشجر يوم الاثنين، وخلَق المكروه يوم الثلاثاء، وخلَق النور يوم الأربعاء، وبثّ فيها الدواب يوم الخميس، وخلَق آدم بعد العصر يوم الجمعة، آخر خلْق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل ٦٨٣٢٣ -عن عكرمة: أنّ اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : ما يوم الأحد؟ قال» :فيه خلَق الله الأرض وكَبَسَها .«قالوا: الاثنين؟ قال» :خلَق فيه وفي الثلاثاء الجبال والماء، وكذا وكذا، وما شاء الله .«قالوا: فيوم الأربعاء؟ قال» :الأقوات .«قالوا: فيوم الخميس؟ قال» :فيه خلَق الله السماوات .«قالوا: يوم الجمعة؟ قال» :خلَق في ساعتين الملائكة، وفي ساعتين الجنة والنار، وفي ساعتين الشمس والقمر والكواكب، وفي ساعتين الليل والنهار .«قالوا: السبت؟ ذكروا الراحة، فقال» :سبحان الله .«!فأنزل الله :(ولَقَدْ خَلَقْنا

السَّماواتِ والأَرْضَ وما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أيّامٍ وما مَسَّنا مِن لُغُوبٍ ٦٨٣٢٤ -عن عبد الله بن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه ٦٨٣٢٥ -عن عبد الله بن سَلام قال: إن الله تعالى ابتدأ الخلْق وخلَق الأرضين يوم الأحد والاثنين، وخلَق الأقوات والرواسي في يوم الثلاثاء والأربعاء، وخلَق السماوات في يوم الخميس والجمعة إلى صلاة العصر، وخلَق فيها آدم في تلك الساعة التي لا يوافقها عبد في صلاة يدعو ربه إلا استجاب له، فهو ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس ٦٨٣٢٦ -عن عبد الله بن مسعود وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم -من طريق السُّدّي، عن مُرَّة الهَمْدانِيّ-= (ز(٦٨٣٢٧ -وعبد الله بن عباس- من طريق السُّدّيّ، عن أبي مالك وأبي صالح-: خلَق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين؛ في الثلاثاء والأربعاء، وذلك حين يقول :(أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها ٦٨٣٢٨ -عن عبد الله بن عباس- من طريق عكرمة- قوله :(أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين) قال: أول ما خلَق الله الأرض في يومين؛ يوم الأحد، ويوم الاثنين، (وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام) قال: شقّ الأنهار، وغرس الأشجار، ووضع الجبال، وأجرى السحاب، وجعل في هذه ما ليس في هذه، وجعل فيها منافع في يومين؛ يوم الثلاثاء والأربعاء، (ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أوكرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سماوات في يومين) يوم الخميس، ويوم الجمعة، (وأوحى في كل سماء أمرها) ملائكتها، وما أراد أن يخلق فيها، فمَن سألك في كم خُلقت السماوات والأرض؟ فقُلْ: كما قال الله -جلّ جلاله- :(أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى للسماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أوكرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء

أمرها) اجتمع الخلْق في يوم الجمعة، وخلَق آدم في آخر ساعة من يوم الجمعة ٦٨٣٢٩ -عن عبد الله بن عباس- من طريق عطاء بن أبي رباح- قال: خلَق الله تعالى السماوات من دُخان، ثم ابتدأ خلْق الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين، فذلك قول الله :(قُلْ أئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) ثم قدَّر فيها أقواتها في يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، فذلك قوله :(وقَدَّرَ فِيها أقْواتَها فِي أرْبَعَةِ أيّامٍ سَواءً لِلسّائِلِينَ) ثم استوى إلى السماء وهي دُخان فسمَكها، وزيَّنها بالنجوم، والشمس والقمر وأجراهما في فَلَكهما، وخلَق فيها ما شاء من خلْقه وملائكته يوم الخميس ويوم الجمعة، وخلَق الجنة يوم الجمعة، وخلَق آدم يوم الجمعة، فذلك قول الله :(خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ فِي سِتَّةِ أيّامٍ) (يونس:٣). وسبَت كلَّ شيءٍ يوم السبت، فعظَّمت اليهود يوم السبت؛ لأنه سبتَ فيه كل شيء، وعظَّمت النصارى يوم الأحد؛ لأنه ابتدأ فيه خلْق كل شيء، وعظَّم المسلمون يوم الجمعة؛ لأن الله فرغ فيه مِن خلْقه، وخلَق في الجنة رحمته، وجمع فيه آدم، وفيه هبط من الجنة إلى الأرض، وفيه قُبلت توبته، وهو أعظمها ٦٨٣٣٠ -عن عبد الله بن عباس- من طريق عطاء بن أبي رباح- قال: إنّ الله تعالى خلَق يومًا فسمّاه الأحد، ثم خلَق ثانيًا فسمّاه الاثنين، ثم خلَق ثالثًا فسمّاه الثلاثاء، ثم خلَق رابعًا فسمّاه الأربعاء، وخلَق خامسًا فسمّاه الخميس، فخلَق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلَق الجبال يوم الثلاثاء؛ وكذلك يقول الناس: إنه يوم ثقيل. وخلَق مواضع الأنهار والشجر والقُرى يوم الأربعاء، وخلَق الطير والوَحْش والسِّباع والهَوام والآفة يوم الخميس، وخلَق الإنسان يوم الجمعة، وفرغ من الخلْق يوم السبت ٦٨٣٣١- عن إسماعيل السُّدّيّ- من طريق أسباط :-(خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) في الأحد والاثنين... ، (فِي أرْبَعَةِ أيّامٍ سَواءً لِلسّائِلِينَ) خلق الجبال فيها، وأقوات أهلها وشجرها، وما ينبغي لها في يومين؛ في الثلاثاء والأربعاء ٦٨٣٣٢ - قال مقاتل بن سليمان : (قُلْ أئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ) بالتوحيد، و(بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء... ، (ذَلِكَ) الذي خلَق الأرض في يومين هو (رَبُّ العالَمِينَ) يعني: الناس أجمعين ٥٧٣٤ ذكر ابنُ جرير أنّ القول بأن

اليومين هما الأحد والاثنين هو ما جاءت به الأخبار، وقالته العلماء. وساق ابنُ عطية الروايات، ثم قال» :والظاهر مِن القصص في طينة آدم: أنّ الجمعة التي خُلق فيها آدم عليه السلام قد تقدّمتها أيام وجُمع كثيرة، وأن هذه الأيام التي خلق الله فيها هذه المخلوقات هي أول الأيام؛ لأن بإيجاد الأرض والسماء والشمس وُجد اليوم .«ثم ذكر احتمالًا آخر، فقال» :وقد يحتمل أن يُجعل تعالى قوله: (يومين) على التقدير، وإن لم تكن الشمس خلقت بعد، وكأن تفصيل الوقت يعطي أنها الأحد ويوم الاثنين كما ذكر.«

)) : (موسوعة التفسير بالمأثور ، معهد الشاطبي) .

التعقيب :

هذه الآثار باطلة السند منكرة المتن .

الخلاصة

أولاً : لقد خلق الله تعالى السماوت والأرض وما بينهما في ستة أيام ، ثم جعل من فوق الأرض رواسي ، وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فسواها سبع سموات في يومين ، ثم دحا الأرض .

ثانياً : الخلق من عدم غير جعل الرواسي من فوق الأرض ، وغير المباركة في الأرض ، وغير تقدير أقوات الأرض .

ثالثاً : دحو الأرض غير تقدير أقوات الأرض .

رابعاً : زمن الخلق وزمن التصوير :

زمن خلق السماوات + زمن خلق الأرض = ٦ أيام

أو

مجموع زمني خلق السماوت والأرض من العدم = ٦ أيام

زمن خلق الأرض من العدم = يومين
زمن تصوير الأرض = ٤ أيام
أو :
زمن جعل الراوسي من فوق الأرض والمباركة فيها وتقدير أقواتها = ٤ أيام
زمن تصوير السماوت = يومين
أو :
زمن قضاء السماوت سبع سموات = يومين
أو زمن تسوية السماوت سبع سموات = يومين
بما أن :
زمن خلق السماوات + زمن خلق الأرض = ٦ أيام
وكان :
زمن خلق الأرض = يومين
إذاً :
زمن خلق السماوات + ٢ = ٦ أيام
وعليه فإن :
زمن خلق السماوات = ٦ – ٢ = ٤ أيام
مجموع زمني تصوير الأرض والسماوت = ٤ + ٢ = ٦ أيام
مجموع زمني خلق وتصوير الأرض = ٢ + ٤ = ٦ أيام
مجموع زمني خلق وتصوير السماوت = ٤ + ٢ = ٦ أيام

مجموع زمني خلق وتصوير السماوات والأرض = ١٢ يوماً

خامساً : إذا فسرنا القرآن بالقرآن ، أو رددنا المتشابه والمجمل إلى المحكم والمبين ، لعلمنا المعنى الصحيح ، وما كان هناك أي تعارض .

سادساً : إذا تمسكنا بالمعنى الأصلي أو الحقيقي للكملة والمعنى الظاهر للآيات لكانت الآيات متوافقة وغير متعارضة .

سابعاً : لقد ترك المفسرون المعنى الأصلي والحقيقي للكلمات وركنوا إلى المجاز والتأويل :

فمعنى كلمة "خلق" غير كلمة "جعل" ، وغير كلمة "بارك" ، وغير كلمة "قدر" .

نعم ، العرب تطلق بعض الكلمات على بعض ، من قبيل المجاز ، ولكن المجاز له شروط ، ومن شروطه ألا يعارض المعنى الحقيقي للكلمة أو المعنى الظاهر للكلام .

ثامناً : لقد ترك السلف والخلف ظاهر الآيات ، وركنوا إلى المجاز والتأويل :

فالظاهر أن خلق السماوت والأرض وما بينهما كان في ستة أيام .

وان خلق الأرض كان في يومين .

وأن جعل الرواسي من فوق الأرض والمباركة فيها وتقدير أقواتها كان في أربعة أيام .

وأن تسوية السماء سبع سماوت كان في يومين .

وأن خلق السماوت والأرض كان قبل تصوير الأرض ، وأن تصوير

الأرض كان قبل تصوير السماء ، وأن تصوير السماء كان قبل دحو الأرض .

فلقد رتب الله تعالى في الآيات خلق السموات والأرض وتصويرهما ، ولكنهم خرجوا عن هذا الترتيب .

فضلاً عن أنهم لما تركوا المعنى الأصلي والحقيقي للكلمات ، أصبح ظاهر الآيات حسب تفسيرهم أن خلق السماوت والأرض كان في ثمانية أيام ، فتركوا هذا الظاهر أيضاً لوجود تعارض بينه وبين الآيات التي تصرح بأن خلق السماوت والأرض وما بينهما كان في ستة أيام .

والسؤال : لماذا لم يراجعوا تفسيرهم لما وجدوا هذا التعارض ؟!

لو تمسكوا بالمعنى الأصلي أو الحقيقي للكلمة لكان ظاهر الآيات ستة أيام للخلق ، وستة أيام للتصوير ، وهذا هو الحق .

تاسعاً : لقد اعترفوا بأنهم خالفوا الظاهر ، وقدروا كلمة "تمام" أو تتمة :

قال ابن عادل : ((وقال أبو البقاء: أي في تمام أربعة أيام، ولولا هذا التقدير لكانت الأيام ثمانيةً يومان في الأول، وهو قوله: { خَلَقَ ٱلأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ } ويومانِ في الآخر وهو قوله { فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ } وأربعةٌ في الوَسَطِ وهو قوله "فِيۤ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ" . فإن قيل: إنه تعالى لما ذكر خلق الأرض في يومين، فلو ذكر أنه خلق هذه الأنواع الثلاثة الباقية في يومين آخرين كان أبعدَ عن الشُّبهة وعن الغلط فَلِمَ

تَرَك التصريح وذكر الكلام المجمل؟ . فالجواب: أن قوله "في أربعة أيام سواء" فيه فائدة زائدة على ما إذا قال: خلقت هذه الثلاثة في يومين؛ لأنه لو قال: خلقت هذه الأشياء في يومين لم يُفِدْ هذا الكلام كون اليومين مُستغرقين بتلك الأعمال؛ لأنه قد يقال: عملتُ هذا العمل في يومين مع أن اليومين ما كانا مستغرقين بذلك العمل، أمَّا لما ذكر خلق الأرض، وخلق هذه الأشياء ثم قال: في أربعة أيام سواء دلَّ على أن هذه الأيام الأربعة صارت مستغرقةً في تلك الأعمال من غير زيادة ولا نُقصانٍ)) . (اللباب في علوم الكتاب ، ابن عادل) .

قلتُ : إذا كان الأمر ليفيد الاستغراق لقال الله : "خلق الأرض في يومين سواء" ، وقال : " وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي يومين سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ) ، ولن يقول كلاماً غير فصيح أو كلاماً مجملاً غير مبين أو يحدث شبهة وغلطاً ، يجب تنزيه أحكم الحاكمين عن ذلك .

قال النسفي : (({ فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ } في تتمة أربعة أيام يريد بالتتمة اليومين تقول: سرت من البصرة إلى بغداد في عشرة وإلى الكوفة في خمسة عشر أي تتمة خمسة عشر ولا بد من هذا التقدير، لأنه لو أجرى على الظاهر لكانت ثمانية أيام لأنه قال { خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ } ثم قال { وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوٰتَهَا فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ } ثم قال "فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ" فيكون خلاف قوله "فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ" (ق : ٣٨) في موضع آخر، وفي الحديث : "إن الله تعالى خلق الأرض يوم الأحد

والإثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والعمران والخراب فتلك أربعة أيام، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة، وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة من يوم الجمعة "قيل: هي الساعة التي تقوم فيها)) . (مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، النسفي) .

قال البقاعي : (({ في أربعة أيام } وهذا العدد عن ضم اليومين الماضيين إلى يومي الأقوات وهما الثلاثاء والأربعاء، أو يكون المعنى في تتمته أربعة أيام، ولا يحمل على الظاهر ليكون ستة لأنه سيأتي للسماوات يومان فكانت تكون ثمانية، فتعارض آية { الم السجدة } { الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام } وفصل مقدار ما خلقها فيه ومقدار ما خص الأقوات والمنافع لإحاطة العلم بأنه يخص كل أمر من الأمرين يومان)) . (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي) .

قال الشنقيطي : ((قوله تعالى: "وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ" . الظاهر أن معنى قوله هنا في أربعة أيام: أي في تتمة أربعة أيام. وتتمة الأربعة حاصلة بيومين فقط، لأنه تعالى قال : "قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ" (فصلت: ٩) ثم قال في أربعة أيام، أي في تتمة أربعة أيام.ثم قال : " فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ " (فصلت: ١٢) فتضم اليومين إلى الأربعة السابقة، فيكون مجموع الأيام التي خلق فيها

السماوات والأرض وما بينهما، ستة أيام. وهذا التفسير الذي ذكرنا في الآية لا يصح غيره بحال، لأن الله تعالى صرح في آيات متعددة من كتابه بأنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام كقوله في الفرقان : "ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً " (الفرقان: ٥٩) . وقوله تعالى في السجدة " ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ شَفِيعٍ" (السجدة: ٤) الآية. وقوله تعالى في ق . "وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ" (ق: ٣٨) وقوله تعالى في الأعراف "إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ" (الأعراف: ٥٤) الآية. إلى غير ذلك من الآيات. فلو لم يفسر قوله تعالى " فِيۤ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ " بأن معناه في تتمة أربعة أيام، لكان المعنى أنه تعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما في ثمانية أيام، لأن قوله تعالى: " فِيۤ أَرْبَعَةِ أَيَّام " إذا فسر بأنها أربعة كاملة ثم جمعت مع اليومين اللذين خلقت فيهما الأرض المذكورين في قوله (قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ" (فصلت: ٩) ، واليومين اللذين خلقت فيهما السماوات المذكورين في قوله تعالى : "فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ " (فصلت: ١٢) لكان المجموع ثمانية أيام. وذلك لم يقل به أحد من المسلمين. والنصوص القرآنية مصرحة بأنها

ستة أيام، فعلم بذلك صحة التفسير الذي ذكرنا وصحة دلالة الآيات القرآنية عليه. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة " وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا " قد قدمنا الكلام على أمثاله من الآيات، في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى : " وَأَلْقَىٰ فِي ٱلأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ" (النحل: ١٥) الآية، وقوله تعالى: " وَبَارَكَ فِيهَا " أي أكثر فيها البركات، والبركة الخير، وقوله تعالى " وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا" . التقدير والخلق في لغة العرب معناهما واحد.

والأقوات جمع قوت، والمراد بالأقوات أرزاق أهل الأرض ومعايشهم وما يصلحهم. وقد ذكرنا في كتابنا دفع إيهام الاضطراب، عن آيات الكتاب: أن آية فصلت هذه، أعني قوله تعالى: "وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا" يفهم منها الجمع بين الآيات الدالة على أن الأرض خلقت قبل السماء كقوله هنا " قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ " (فصلت: ٩) ثم رتب على ذلك بثم، قوله "ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ" (فصلت: ١١) إلى قوله "فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ" (فصلت: ١٢) مع بعض الآيات الدالة على أن السماء خلقت قبل الأرض، كقوله تعالى في النازعات : "أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَاهَا " (النازعات: ٢٧) إلى قوله : " وَٱلأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا" (النازعات :٣٠) فقلنا في كتابنا المذكور ما نصه: قوله تعالى : " هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي ٱلأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ " (البقرة: ٢٩) الآية، هذه الآية تدل على أن خلق الأرض قبل خلق السماء، بدليل لفظة ثم

التي هي للترتيب والانفصال.وكذلك آية حم السجدة، تدل أيضاً على خلق الأرض قبل السماء، لأنه قال فيها : "قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ " (فصلت: ٩) إلى أن قال " ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ " (فصلت: ١١) الآية)) . (أضواء البيان في تفسير القرآن ، الشنقيطي) .

قلت يقصد الشنقيطي الصواب ـ الذي يراه هو والسلف والخلف ـ وليس الظاهر.

قال اطفيش : ((وخالف ظاهر ذلك قوله تعالى فى آية أخرى : "في ستة أيام " (الأعراف: ٥٤) الجواب قيل: ان المراد فى تتمة أربعة أيام، وتتمتها يومان، وإلا كانت الأيام ثمانية، وانما هى ستة بزيادة يومين على أربعة، ومثل لذلك بقولك: سرت من البصرة الى بغداد فى عشرة أيام والى الكوفة فى خسمة عشر، تريد تتمة عشرة كذا قيل، وهو تخليط، وانما الجواب ما يجىء بعد ان شاء الله تعالى. وعبارة بعض فى أربعة ايام مع اليومين الأولين المذكورين قبل، ففى المثال خمسة عشر بعد العشرة المذكورة)) . (تيسير التفسير ، اطفيش) .

عاشراً : لقد خرجوا عن اللسان العربي واستدلوا بأمثلة لا تصح ، ولو سلمنا جدلاً بصحة هذه الأمثلة ، فإن الاستدلال بها باطل لعدة اسباب :

السبب الأول : أن هذا ليس من لغة القرآن أو أسلوب القرآن ، فالقرآن مبين ومفصل وتبيان وتفصيل .

ولو كان هذا من أسلوب القرآن لقال الله تعالى : (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي ستة أيام) ، وسيفهمون أنها تتمة .

والسؤال : لماذا قال الله تعالى فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ، ولم يقل في ستة أيام ؟

السبب الثاني : اختلاف الفعل ، فالأمثلة التي ساقوها فيها فعل واحد ، أما الآيات الكريمة فعدة أفعال .

فالأمثة التي ساقوها كان الفعل واحداً ، حتى أنهم لم يكرروه .

فقالوا : (تَزَوَّجْتُ أَمْسِ امْرَأَةً وَالْيَوْمَ ثِنْتَيْنِ، وَإِحْدَاهُمَا هِيَ الَّتِي تَزَوَّجْتَهَا بِالْأَمْسِ) .

وقالوا : (خَرَجْتُ مِنَ البَصْرَةِ إلى بَغْدادَ في عَشَرَةِ أيّامٍ، وإلى الكُوفَةِ في خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، أيْ في تَتِمَّةِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا) .

لذا لو أرادوا أن يسوقوا مثالاً فليقولوا المثال التالي : سافرت من المنصورة إلى القاهرة في ساعتين ، ثم صليت في الأزهر في ثلاث ساعات .

والسؤال : هل يقول عاقل : إن الثلاث ساعات هي زمن السفر والصلاة ؟!

قال تعالى : " قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا

وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) " (فصلت) .

إن الله تعالى ذكر عدة أفعال وعدة أحداث ، وليس فعلاً واحداً أو حدثاً واحداً .

فقال تعالى : "خلق" ، وقال تعالى : "وجعل" ، وقال تعالى : "وبارك" ، وقال تعالى : "وقدر" .

فهل يقال أن الأربعة أيام هي تتمة ؟!

الحادي عشر : ومما يدل على خطأ فهمهم أنهم جعلوا زمن خلق الأرض أكبر من خلق السماوت برغم أن السماوات أكبر من الأرض !

قال محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر السابق : ((وقال الجمل فى حاشيته: فإن قيل لم جعلت مدة خلق الأرض بما فيها، ضعف مدة خلق السموات، مع كون السماء أكبر من الأرض وأكثر مخلوقات وعجائب؟ قلت: للتنبيه على أن الأرض هى المقصودة بالذات لما فيها من الثقلين ومن كثرة المنافع، فزادات مدتها ليكون ذلك أدخل فى المنة على ساكنيها، وللاعتناء بشأنهم وشأنهم - أيضا - زادت مدتها لما

فيها من الابتلاء بالمعاصى والمجاهدات والمعالجات)) . (الوسيط في تفسير القرآن الكريم ، محمد سيد طنطاوي) .

قال البقاعي : ((وجعل مدة خلقها ضعف مدة السماء مع كونها أصغر من السماء دلالة على أنها هي المقصودة بالذات لما فيها من الثقلين، فزادت بما فيها من كثرة المنافع وتباين أصناف الأعراض والجواهر لأن ذلك أدخل في المنة على سكانها، والاعتناء بشأنهم وشأنها، وزادت أيضاً بما فيها من الابتلاء بالتهيئة للمعاصي والمجاهدات والمعالجات التي يتنافس فيها الملأ الأعلى ويتخاصم - كل ذلك دلالة على أن المدة ما هي لأجل القدرة بل لأجل التنبيه على ما في المقدر من المقدور وعجائب الأمور، وليعلم أيضاً بخلق السماء التي هي أكبر جرماً وأتقن جسماً وأعظم زينة وأكثر منافع بما لا يقايس في أقل من مدة خلق الأرض أن خلقها في تلك المدة ليس للعجز عن إيجادها في أقل من اللمح، بل لحكم تعجز عن حملها العقول، ولعل تخصيص السماء بقصر المدة دون العكس لإجراء أمرها على ما نتعارفه من أن بناء السقف أخف من بناء البيت تنبيهاً على أنه بنى أمر دارنا هذه على الأسباب تعليماً للتأني وتدريباً على السكينة والبعد من العجلة)) . (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي) .

الثاني عشر : البعض فسر الأربعة أيام بالأربعة فصول ، وهي : الصيف ، والشتاء والربيع ، والخريف ، وهذا تأويل بعيد .

قال الطبطبائي : ((قوله: { وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين } ظاهرة في غير ما ذكروه والقرائن الحافة بها تؤيد كون المراد بها تقدير أقواتها في الفصول الأربعة التي يكوّنها ميل الشمس الشمالي والجنوبي بحسب ظاهر الحس فالأيام الأربعة هي الفصول الأربعة. والذي ذكر في هذه الآيات من أيام خلق السماوات والأرض أربعة أيام يومان لخلق الأرض ويومان لتسوية السماوات سبعاً بعد كونها دخاناً وأما أيام الأقوات فقد ذكرت أياماً لتقديرها لا لخلقها، وما تكرر في كلامه تعالى هو خلق السماوات والأرض في ستة أيام لا مجموع خلقها وتقدير أمرها فالحق أن الظرف قيد للجملة الأخيرة فقط ولا حذف ولا تقدير في الآية والمراد بيان تقدير أقوات الأرض وأرزاقها في الفصول الأربعة من السنة)) . (الميزان في تفسير القرآن ، الطبطبائي) .

وقال هاشم الحسيني البحراني : (({ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا } أي لا يزول و لا يفنى { فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ } يعني في أربعة أوقات، و هي التي يخرج الله فيها أقوات العالم، من الناس و البهائم و الطير و حشرات و الأرض و ما في البر و البحر من الخلق و الثمار و النبات و الشجر و ما يكون فيه معاش الحيوان كله، و هو الربيع و الصيف و الخريف و الشتاء. ففي الشتاء يرسل الله الرياح و الأمطار و الأنداء و الطلول من السماء فيسقي الأرض و الشجر، و هو وقت بارد، ثم يجيء بعده الربيع و هو

وقت الخريف و معتدل حار و بارد، فيخرج الشجر ثماره، و الأرض نباتها، فيكون أخضر ضعيفا ثم يجيء من بعده وقت الصيف [و هو حار]، فينضج الثمار، و يصلب الحبوب التي هي أقوات العباد و جميع الحيوان، ثم يجيء من بعده وقت الخريف فيطيبه و يبرده، و لو كان الوقت كله شيئا واحدا، لم يخرج النبات من الأرض، لأن الوقت لو كان كله ربيعا لم تنضج الثمار و لم تبلغ الحبوب، و لو كان الوقت كله صيفا لاحترق كل شيء في الأرض، و لم يكن للحيوان معاش و لا قوت، و لو كان الوقت كله خريفا، و لم يتقدمه شيء من هذه الأوقات، لم يكن شيء يتقوت به العالم، فجعل الله هذه الأقوات في هذه الأربعة أوقات: في الشتاء و الربيع و الصيف و الخريف، و قام به العالم و استوى و بقي، و سمى [الله] هذه الأوقات أياما سواء للسائلين. يعني المحتاجين، لأن كل محتاج سائل، و في العالم من خلق الله من لا يسأل و لا يقدر عليه من الحيوان كثير، فهم سائلون، و إن لم يسألوا)) . (البرهان في تفسير القرآن ، هاشم الحسيني البحراني) .

وقال البقاعي : (({ سواء } أي التوزيع إلى يومين ويومين على السواء { للسائلين * } أي لمن سأل أو كان بحيث يسأل ويشتد بحثه بسؤال أو نظر عن التوفيق بين ظاهر هذه الآية وبين غيرها، لا بد في كل يوم منها من زيادة عن الذي قبله أو نقص، ومجموع الأربعة كأربعة من أيام الدنيا لا تزيد عليها ولا تنقص، وقراءة يعقوب بجر "سواء" معينة لأن تكون نعتاً لـ "أربعة" وقراءة أبي جعفر بالرفع خبر لمبتدأ محذوف،

وعن خلقها وتتميمها في أربعة أيام كانت فصولها أربعة، قال ابن برجان: ألا ترى الأمر إلى السماء أولاً في إنزال الماء فيخلقه فيما هنالك ثم ينزله إلى الأرض والنبات والحيوان عن الماء الذي ينزل من السماء إلى الأرض بمنزلة النسل بين الذكر والأنثى وبمنزلة تسخير السماء والأرض وما بينهما لما وجدنا له فافهم - أمر قويم وحكمة شائعة آية ذلك قضاؤه بركات الأرض في أربعة أيام بواسطة ما قدر في السماء من أمر وهي الأربعة الفصول من السنة. الشتاء الربيع الصيف والخريف، فهذه الأيام معلومة بالمشاهدة، فيهن يتم زرع الأرض وبركات الدنيا وجميع ما يخرجه منها من فؤائد وعجائب)) . (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي) .

الحمد لله رب العالمين